ميثاق الرابطة

لسان رابطة علماء المغرب

أسبوعية جامعة تصدر كل جمعة - الثمن : 3 دراهم

السنة 37 - العدد 1060 - الجمعة 27 محرم 1425 هـ - الموافق 19 مارس 2004

صدق الله العظيم

وقفات في الهجرة النبوية

الهجرة جهاد مستمر

فوائد وثمار عبادة الذكر

خطاب المعروف والمنكر في القرآن الكريم

الكلام على السترة للمصلي

سر تماسك الأسرة في بر الوالدين

لقد حافظ الإسلام بتوجيهه على تماسك الأسرة ونبه بما فيه الكفاية على معاملة البعض منها للبعض بالأخلاق الحميدة التي تزيد في الألفة وتنمي المحبة وتظهر العطف الكامل فيما بين أفراد أهل البيت. كما أوجب الله جل وعلا بر الوالدين الذين هما البذرة الأولى التي انطلق منها تكوين الأسرة. قال الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم: "وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا". فأوجب الله بر الوالدين وأوصى عليه، وحذر من عقوقهما وعدم احترامهما. كما قرن بعبادته بروز الوالدين إكراما لهما وتنبيها من الله على مالهما من مكانة وحرمة تجب مراعاتهما فقال تعالى: "وقل لهما قولا كريما".

لا يرضى ديننا منا أن نعامل الأسرة إلا بالتي هي أحسن بصفة عامة. فعن أنس وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم لما صعد المنبر قال: (آمين، آمين، قيل يا رسول الله على م أمنت؟ قال: أتاني جبريل فقال: يا محمد رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل عليك، قل: آمين ثم قلت: آمين، ثم قال: رغم أنف رجل دخل عليه شهر رمضان ثم خرج فلم يغفر له، قل: آمين، فقلت: آمين، ثم قال: رغم أنف رجل أدرك والديه أو أحدهما فلم يدخلاه الجنة، قال: قل آمين، فقلت آمين.

إن سياج الأخلاق الرحمانية التي أحاط الإسلام بها الأسرة منيع ومن تخرج من تلك المدرسة لا يمكن أن يتسرب إلى سلوكه المربى التربية الصالحة الواقية أي تسيب أو تفسخ أو ميوعة تجعل المجتمع مستلبا من هويته وثوابته لأن المتخلق بتلك الأخلاق الفاضلة يردعه ويمنعه وازعه الإيماني أن يرتكب في حياته ما يخدش في دينه أو يدنس من عرضه مع أي كان.

ومن حرص الإسلام على مصالحنا ورعايته لتربيتنا أبقى واجب بر الوالدين لصيقا بالولد في حياة والديه وبعد مماتهما ليلا يقع انفصام بين مكونات البشرية، وحتى لا يضر بتماسك حلقات سلسلة روح الإنسانية النابعة من الحب الصادق مما يبعد عن الأسرة الإسلامية شبح صراع الأجيال الذي عانت منه دول ومجتمعات.

جاء رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله هل بقي علي من بر أبوي شيء بعد موتهما أبرهما به؟ قال: نعم، خصال أربع: الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما، وإكرام صديقهما، وصلة الرحم التي لا رحم لك إلا من قبلهما. فهو الذي بقي عليك من برهما بعد موتهما) روى هذا الحديث أبو داوود وابن ماجة من حديث عبد الرحمن بن سليمان.

وهكذا يحض الكتاب والسنة على احترام الأبوين ومراعاة علاقاتهما الأسرية والإنسانية قصد إشاعة الألفة والمحبة والمحافظة على التعامل الرحماني بين أبناء هاته الفصيلة البشرية التي من مصلحتها أن تمرن سلوكها على ما يحقق لأفرادها المحبة والانسجام، ويبعد عنهم التنافر والاصطدام، ولما يترتب عن هذا الحض على التواصل المبني على الإيخاء من تحقيق المصلحة العامة التي يعمل الهدي النبوي على بلورتها بصفة عملية بين المكونات البشرية.

فعن المقدام بن معد يكرب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله يوصيكم بآبائكم، إن الله يوصيكم بأمهاتكم، إن الله يوصيكم بأمهاتكم، إن الله يوصيكم بالأقرب فالأقرب). أخرج الحديث ابن ماجة من حديث عبد الله بن عياش.

إن تأكيده عليه الصلاة والسلام على الأمهات وهو يوصي الأبناء بهن خيرا ثلاث مرات يعطي أكبر دليل على ما يوليه الإسلام للمرأة من عناية شاملة، ورعاية فائقة وتكريم مثالي.

فلاحد لإكرام المرأة في ديننا فلو أنفقت عليها ملء الأرض ذهبا وأطفت بها على عنقك بالبيت العتيق - وتلك هي الغاية القصوى في الإكرام - لما أديت عشر المعشار من حقها. فعن سليمان بن بريدة عن أبيه أن رجلا كان في الطواف حاملا أمه يطوف بها فسأل النبي صلى الله عليه وسلم هل أديت حقها؟ قال: (لا ولا بزفرة واحدة). أو كما قال عليه السلام.

هكذا كان عليه الصلاة والسلام يأمر ويوصي ببر الوالدين ويرغب فيه، ويحذر من العقوق ويحرمه ولا يرضى لأمته به...

إن من تتبع تاريخ الأمم السابقة ودرس ما كانت تعامل به المرأة وتعاني منه من هضم لحقوقها سواء كانت أما أو زوجة أو بنتا قبل ظهور الإسلام وانتشار دينه الإنساني يعلم علم اليقين أن نبي الرحمة وهادي الإنسانية أعطى لأمهاتنا وزوجاتنا وبناتنا كامل الحق، قال تعالى: "ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف" وقد جرى على ألسنة المسمين الملتزمين أن النساء لا يكرمهن إلا كريم ولا يهينهن إلا لئيم.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نمت فرأيتني في الجنة فسمعت صوت قارئ يقرأ فقلت من هذا؟ قالوا هذا حارثة بن النعمان. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كذلك البر، كذلك البر، وكان أبر الناس بأمه).

إن العناية بأفراد الأسرة ومراعاة الحقوق والواجبات بين أفرادها يزيد في التحامها ويقوي تماسكها ويملأ قلوبها من الرحمة ويطمئن نفوسها بدفء الحنان والمودة... فبرور الوالدين وإكرامهما والعناية بذويهما وصلة رحم أسرهما كل ذلك مطلوب منا ومرغب فيه عندنا.

إن الاعتناء بالأسرة والسعي في انسجامها والعمل على ترابطها والنهوض بمصالحها يحث عليه ديننا الحنيفي ويوجه إليه دعاة المسلمين الواعون، عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن أبر البر صلة الرجل أهل ود أبيه بعد أن يولي).

هكذا يحافظ الإسلام في توجيهه الرباني على تماسك الأسرة ويحث على تضامنها ومراعاة بعضها لمصالح البعض الآخر، فكم نادى عليه الصلاة والسلام بالتشبث بالود والتراحم بيننا.

فلندرس مرامي الإسلام النبيلة ومغازيه السامية ومقاصده الإصلاحية قال تعالى: "ولا يستخفنك الذين لا يوقنون". فحقيقة الإسلام الهادفة لإنقاذ البشرية عقيدة وسلوكا شيء واضح لا يزيغ عن سبيله المستقيم إلا من أعمى الله بصيرته، وما يلصقه به من لا يعرف واقعه شيء آخر.

فالله نرجو أن يرينا الحق حقا ويرزقنا اتباعه، ويرينا الباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه إنه سميع مجيب.

بقلم الشيخ ماء العينين لارباس

النائب الأول للأمين العام لرابطة علماء المغرب

العدل والعدالة في التوجيه الديني

العدل القضائي في الإسلام

في العدد الماضي من هذه الجريدة انطلقنا في تصفح منهج القضاء الإسلامي، بدأنا بالوقوف مع الآيات القرآنية التي تؤسس التشريع الإسلامي في ميدان العدل القضائي وتوقفنا قليلا مع قوله تعالى في سورة الأحزاب "وما كان لمومن ولا مومنة إذا قضى الله ورسوله أمرا ورأينا خضوع المومنين والمومنات إلى أمر النبي صلى الله عليه وسلم ولو كان مخالفا لاهوائهم فلا خيار مع أمر الرسول عليه الصلاة والسلام ولاتردد مع توجيهه النبوي.

ونقف قليلا مع الآية 56 من سورة النساء في قوله تعالى: "فلا وربك لايومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما".

التوجيه الديني العادل في هذه الآية ينطلق من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يبقى هو المرجع الأساسي لكل حكم، فما قضى به الرسول كان حكما واجب الطاعة، والتسليم الكامل والتنفيذ بعده طبقا لما قضى به الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن لم يحتكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعتبر غير مومن "فلا وربك لايومنون" فالله عز وجل أقسم بنفسه الكريمة المقدسة أنه لايومن أحد حتى يحكم الرسول صلى الله عليه وسلم في جميع الأمور، فما حكم به فهو حق واجب الطاعة والتنفيذ ظاهرا وباطنا، يسلم به المرء تسليما كاملا فلا طعن ولا استئناف ولانقض، ولا اعتراض يقبل من دون ممانعة ولامنازعة ولامدافعة، ويثبت هذا التوجيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله كما في الحديث "والذي نفسي بيده لايومن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به".

وروى البخاري عن عروة أن رجلين اختصما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقضى بينهما بما اطلعه الله عليه وبما يعرفه فوجد أحد الخصمين شيئا في نفسه من الحكم، ولم يقبل به، فنزلت الآية "فلا وربك...".

ونصل إلى الآية الثالثة في موضوع العدل القضائي الإسلامي والتوجيه الذي يجب على المسلمين سلوكه بشأن الحياة على منهجه عند المنازعة، يقول الله تعالى: "يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول" فهذه الآية الكريمة تنادي المؤمنين جميعا لطاعة ثلاث جهات.

1- طاعة الله تعالى فيما يأمر به وينهى عنه، مادام المأمور به أو المنهي عنه واضحا وظاهرا في نصه ومدلوله، فإذا قال الله تعالى: "اعبدوا الله ولاتشركوا به شيئا" فلا سبيل إلى عبادة غير الله عز وجل، لأن الأمر واضح ولايقبل التأويل، وعندما يقول الله عز وجل: "يأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه" فيجب قبول النهي الالاهي بالاجتناب دون الدخول في الشرح والتعليق.

الأستاذ أحمد أفزاز

النائب الثاني للأمين العام - رئيس غرفة بالمجلس الأعلى شرعية

تتمة في الصفحة 2

تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، المرجو صيانتها عن أي امتهان.

التجيبي يصل إلى مرسى عيذاب

■ إعداد الأستاذ: عبد القادر العافية

■ لقد كانت الرحلة شاقة جدا من قوص إلى مرفأ عيذاب على البحر الأحمر، بمصر، قريب من الحدود السودانية، والراحلة الذين مروا بهذه المفازة سجل كثير منهم ارتساماته الأليمة عنها، ويشتكون من أخلاق الجمالين أصحاب الجمال الذين يعرفون مسالك هذه المفازة الكأداء ويتولون نقل الحجاج والمسافرين من قوص إلى عيذاب، وقد أطال التجيبي الكلام عن مكر هؤلاء الجمالين، ووصفهم بالمكر والخيانة، وعدم المروءة، وبكثرة الشره، وابتزاز الحجاج والجراة عليهم، وأنهم يتسلطون عليهم، وقت الأكل، ويكرهونهم على المشاركة فيما يتناولونه من طعام، راضين أو مكرهين، وأنهم لا إيمان ولادين لهم، لايصلون ركعة، وأنكتهم غير شرعية... ويطلب من الله تعالى أن يريح الحجاج منهم... إلى أن يقول:وماعندهم من شيء يستحسن غير الصوت بالحداء، والقلب يتلذذ بسماع الصوت الطيب، ويشتاق إليه، وهذا مما لايمكن جحوده... إلى أن يقول: "وقدمنا في ترجمة الشهاب القرافي حكاية العبد الذي حدا بالإبل فقطعت مسافة ثلاثة أيام في يوم..."

ويواصل التجيبي رحلته مع الجمالين في هذه المفازة الشديدة الحرارة، ويتحدث عن ندرة الماء، وعن رداءته إذا وجد، ورائحته الكريهة، إلى أن وصل إلى ميناء عيذاب، فيقول:"هذه البليدة على ضفة بحر القلزم، وليست بالكبيرة القطر، ولا بالأهلة العامرة بالخلق، وأهلها قوم من البجة سود، والبجة من ولد حام بن نوح عليه السلام، فيما يقال، وقيل من ولد كوش بن كنعان بن حام، نزلوا بين بحر القلزم والنيل، فتشعبوا هناك شعوبا، وملكوا ملوكا، وقيل بل هم من الحبشة، وقيل: بل هم قوم من فزارة، نفاهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وقيل غير ذلك، والله أعلم..."

التجيبي بحث عن أصل سكان هذا المرفأ على البحر الأحمر الذي يسميه العرب بحر القلزم، ويذكر ماسمعه عن أصلهم، وبعد ذلك يقول: "وأكثر بيوتها أخصاص، وفيها آدر يسيرة مجصصة، إبتناها التجار المدعون بالأكارم لينزلوا بها إذا وصلوا من عدن إليها، أو من قوص، أو من غيرها من البلاد، وينزل بها بعض الحجاج إذا وجدوها خالية، وليس يوجد بهذه البليدة شيء تنبته الأرض منها، ولا مما حولها، وكل شيء فيها مجلوب إليها حتى الماء... وهي من أشد البلاد التي رأيناها حرا، لايكاد الإنسان أن يتنفس فيها إلا ويخيل إليه أن أحدا قد أمسك بأنفه، وكأن النار نعوذ بالله منها تلفح وجه الانسان فيها، ومن العجب أن ماء بحرها حار أيضا، يخيل إليك أنه سخن بالنار، حتى صار كأشد مايوجد في الحمامات، وسبب ذلك شدة حر الشمس بها وإنما سكنت من أجل مرساها الجيد الذي يكن من الرياح، وهو مرسى تثير الحط، والإقلاع...

وأهل هذه البليدة ينصرفون عراة رجالا ونساء، لايوارون شيئا، غير خرق زرق، أو جلود يسترون بها عوراتهم فقط، ويذكر أنهم لايعاقبون على الزنا، ولايغارون عليه...

وهذه البليدة فتشٌ شنيع على الحجاج، يبحث عن رحالهم وأزوادهم، وأمتعتهم، ويؤخذ منها ضرائب بحسب أحوالهم، فرفع الله تعالى ذلك بمكتوب وصل في قافلتنا من قبل الملك الأجل، حسام الدنيا والدين أبي الفتح المنصوري، قرئ على منبر جامعها الأعظم على نحو ما قدمنا ذكره في مدينة تونس... اقمنا بها أياما كادت القلوب تبلغ الحناجر من شدة حرها، وناربة هوائها، وقلة مرافقها، وعدم موافقة غذائها وسخانة مائها، ووحشة ناسها، قوم جفاة عراة سود لايفقه أحد مايقولون، ضعفاء العقول، والألباب..."

وصحراء عيذاب التي تحدث عنها التجيبي في رحلته، بنا توفي شيخ مسائح الصوفية أبو الحسن الشاذلي رحمه الله في إحدى رحلاته إلى الحج سنة:656هـ أي قبل مرور التجيبي بها أربعين سنة.

ويصف التجيبي المراكب التي تحمل الحجاج إلى جدة عبر البحر الأحمر فيقول: "مراكب هذا البحر بجملتها في غاية ضعف البنية، وصورة إنشائها أنهم يركبون الألواح بعضها على بعض ويصلون بينها ثم يخرزونها بالقنبار... والعرب تتول لحبل السفينة "الجُمْل"بضم الجيم وتشديد الميم، وقرئ "حتى يلج الجمل في سم الخياط" والرقاق من الحبال المذكورة لشد ألواح المراكب، دون مسمار، وإنما يخللونها بدسر من عيدان النخيل، وهو القنبار يصلح في الماء المالح، فإذا أصابه الماء الحلو أفسده فإذا أكملوا ذلك جلبطوها بدهن متخذ من بعض حيتان البحر، ودقاق اللبان، وقيعان المراكب المذكورة عراض يصنعونها من قطعة واحدة، ثم ينشئون عليها تمام المركب...

إلى أن يقول: ومن هذا المرسى يحرم الآن أكثر القاصدين إلى الحجاز الشريف، من هذا الطريق، وفي الإحرام منه غرر عظيم وخطر، لما يتوقع من عدم مساعدة الريح لمن يحرم منه، فيطول زمن إحرامه، فيلحقه الحرج بذلك، ولقد بلغني أن بعض المحرمين منه أقام محرما نحو سنة، وليس هذا الموضع بميقات محقق، ولا أعلم من أهل العلم من نص على أنه ميقات، ولا هو محاذ لميقات من المواقيت المعلومة، والله أعلم.

وبعد ذلك يصرح التجيبي بأنه أحرم من جدة بناء على ماأفتاد به شيخه ابن دقيق العيد، الذي اعتمد على عمل أبيه، وابوه من أشهر علماء المالكية بمصر، وعلى عمل ابن الجميزي الإمام بهاء الدين، أحد أئمة الشافعية، ومن أجل من يعتمد عليه في الفتوى... وكان شيخنا الأستاذ عبد الله كنون رحمه الله، يقول بجواز الإحرام من جدة بالنسبة لمن يركب الطائرة، ولعله اطلع على ماقاله ابن دقيق العيد، والإمام الجميزي، يقول التجيبي. "وهما اللذان اقتدى بهما" أي في الإحرام من جدة، وأتى بعد ذلك بأقوال بعض العلماء، وينوازل في هذه المسألة.

ومرسى عيذاب تحدث عنه ابن جبير في رحلته بأفظع مما تحدث عنه غيره، وكانت رحلة ابن جبير سنة:578هـ أي قبل رحلة التجيبي ب:118 سنة ومع ذلك فالقوم هم القوم، ومما قاله ابن جبير عنهم: "ولأهل عيذاب في الحجاج أحكام الطواغيت، وذلك أنهم يشحنون بهم الجلاب، وهي المراكب حتى يجلس بعضهم على بعض، وتعود بهم كأنها أقفاص الدجاج المملوءة، يحمل أهلها على ذلك الحرص والرغبة في الكراء، حتى يستوفي صاحب الجلبة، المركب، منهم ثمنها في طريق واحدة، ولايبالي بما يصنع البحر بها بعد ذلك، ويقولون: علينا بالألواح، وعلى الحجاج بالأرواح، وهذا مثل متعارف بينهم... وهذه الفرقة من السودان أضل من الأنعام سبيلا، وأقل عقولا، لادين لهم سوى التوحيد الذي ينطقون به إظهارا للإسلام، ووراء ذلك من مذاهبهم الفاسدة، وسيرهم مالا يرضي ولايحل، ورجالهم ونساؤهم عراة إلا خرقا يسترون بها عوراتهم، وأكثرهم لايسترون وبالجملة فهم أمة لاخلاق لهم، ولاجناح على لاعنهم..." نفس الأوصاف التي وصفهم بها التجيبي بعد أكثر من قرن من الزمان.

ويقارن ابن جبير بين هذا الطريق، وبين طريق الشام والعراق، ويقول هذا أفضل وإن كان طويلا... ومعناه أن الحجاج كانوا يعانون الأمرين ويعرضون أنفسهم للمهالك المحققة، إلا ما ياتي الله به من ألطاف، وهو سبحانه اللطيف الخبير.

وإلى حلقة أخرى بحول الله.

(تتمة ص:1)

2 طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يقضي به بين المسلمين، فلا يجوز مخالفة أمره كيفما كان، وفي أي موضوع صدر، لأن طاعته مطلقة، مثل طاعة الله عز وجل، ولهذا جاء العامل مكررا، في قوله تعالى "أطيعوا الله وأطيعوا الرسول" فلا سبيل إلى التأويل أو الرفض أو الطعن فيما قضى به، لأن ماقضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم هو عين العدل والحق.

3 طاعة ولي الأمر، وهذه هي الجهة الثالثة التي تجب طاعتها بأمر من الله عز وجل، إن المجتمع الإسلامي مجتمع مدني بطبعه يفرض أن يعيش فيه المومنون في أمن وسلام، يحترم فيه الصغير الكبير، ويمتثل فيه المواطن لما يأمر به ولي الأمر، في تنظيم شؤون المجتمع أو الفصل في المنازعات القضائية التي تحدث بين الناس، وطاعته في ذلك واجبة.

روي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره، مالم يومر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلاسمع ولا طاعة" كما رواه أبو داود.

وعن عبادة بن الصامت قال: بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا و أثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، قال: "إلا أن تروا كفرا بواحا، عندكم فيه من الله برهان" كما في رواية الإمامين البخاري ومسلم.

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "اسمعوا وأطيعوا وإن أمر عليكم عبد حبشي كان رأسه زبيبة" كما رواه البخاري.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "أوصاني خليلي أن أسمع وأطيع وإن كان عبدا حبشيا، مجدوع الأطراف" كما رواه مسلم.

وروى ابن جرير عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "سيليكم ولاة بعدي فيليكم البر ببره، والفاجر بفجوره، فاسمعوا لهم وأطيعوا في كل ما وافق الحق، وصلوا وراءهم، فإن أحسنوا فلكم ولهم، وإن أساءوا فلكم وعليهم".

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من رأى من أميره شيئا فكرهه، فليصبر فإنه ليس أحد يفارق الجماعة شبرا فيموت إلا مات ميتة جاهلية".

قال صاحب تفسير البحر المديد في الآية التي هي موضوع هذه النصوص "يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم" وهم ولاة العدل من الخلفاء والأمراء الذين يأتون بعدهم فتجب طاعتهم فيما أمروا به من الطاعة دون المعصية إلا لخوف هرج فإن لم يعدلوا وجبت طاعتهم خوفا من الفتنة، وهي إشارة إلى ماأوردناه سابقا من حديث أبي هريرة الذي جاء به ابن جرير.

وقال جابر ابن عبد الله الحسن والضحاك ومجاهد: أولوا الأمر هم الفقهاء والعلماء أهل الدين والفضل يعلمون الناس معالم دينهم، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، واستدلوا على ذلك بقول الله تعالى "ولوردود إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم" ونتابع الحديث إن شاء الله في العدد المقبل.

الوثاق

الكلام على السترة للمصلي

للعلامة محمد بنيس رحمه الله

■ الأستاذ : إدريس كـرم

الحمد لله الذي قد أسبل علينا دروع ستره، وعمرنا في بحار لطفه وبره، وحمانا باسوار رعايته، وكلانا بعين عنايته، فسبحانه من حليم كريم، قد سبقت رحمته في الأزل القديم، والصلاة والسلام على رسوله المتخلق بأخلاق القرآن القائل في حديثه هلا سترته بردائك، فحط عليه السلام على الستر قولا، وأشار له بنصب العنزة في الصلاة فعلا، وبعد: فهذه رسالة نافعة ، ولسائل سترة للمصلي جامعة ضمنتها خمسة مباحث تشفي غليل كل باحث، وبالله استعين، فهو المعين في ذكر الأحاديث الواردة في مطلوبيتها.

❖ ❖ ❖ ❖

ففي البخاري عن عبد الله ابن عمر أن رسول الله(ص) كان إذا خرج يوم العيد أمر بالحربة فتوضع بين يديه فيصلي إليها والناس وارده، وكان يفعل ذلك في السفر، فمن ثم اتخذها الامراء، وفيه عرعون بن أبي جحيفة قال سمعت أبي أن النبي(ﷺ) صلى بهم بالبطحاء، وبين يديه عنزة، وفيه عن عطاء بن أبي ميمونة قال: سمعت أنس ابن مالك ، كان النبي(ﷺ) إذا خرج لحاجته تبعته أنا وغلام ومعنا عكازة أو عصى أو عنزة، ومعنا اداوة فإذا فرغ من حاجته ناولناه الأداوة.

❖ ❖ ❖ ❖

وفيه عن أبي جحيفة قال: خرج رسول الله(ﷺ) بالهاجرة فصلى بالبطحاء، الظهر والعصر ركعتين، ونصبا بين يديه عنزة فتوضا، فجعل الناس يتمسحون بوضوئه، وفيه عن أنس قال: سمعت النبي(ﷺ) يقول إذا صلى أحدكم إلى شيء يستره من الناس، فأراد احد ان يجتاز بين يديه فاليدفعه، فإن أبى فاليقاتله، فإنما هو شيطان.

❖ ❖ ❖ ❖

وفيه عن أبي جهيم قال رسول الله(ﷺ): لو يعلم المار بين يدي المصلي مادا عليه لكان أن يقف أربعين خيرا له من أن يمر بين يديه. قال أبو النضر: لا أدري أربعين يوما أو شهرا أو سنة.

في بعض ما تبقى بالحديث السادس والسابع مما لابد منه فقوله فاليدفعه في رواية مسلم فليدفع في نحره قال القرطبي اي بالإشارة ولطيف المنع، وقوله فاليقاتله أي يزيد في دفعه التام اشد من الأول، فهو مجاز، قال: واجمعوا على انه لا يلزمه أن يقاتله بالسلاح لمخالفة ذلك لقاعدة الإقبال على الصلاة والاشتغال بها، والخشوع فيها، وقوله فإنما هو شيطان أي فعله فعل الشيطان لتشويشه على المصلي أو أراد إنه من شياطين الإنس، وفي رواية مسلم فإن معه الشيطان.

❖ ❖ ❖ ❖

قال سيدي أبو عبد الله بن أبي جمرة، وهل المقاتلة لخلل الصلاة للمصلي من المرور أو لرفع الإثم عن المار، الظاهر الثاني هـ والظاهر هو الأول لأن إقبال المصلي على صلاته اولى من الاشتغال برفع الإثم عن غيره، فما هو الا لسلامة صلاته من خلل المرور، ويؤيده ما رواه ابن أبي شيبة عن ابن مسعود ان المرور بين يدي المصلي يقطع نصف صلاته بالمرور بين يديه ما صلى إلا لشيء يستره من الناس فهذان الأثران صريحان في أن الدفع تخلل يتعلق بصلاة المصلي.

قال ابن حجر وهما وإن كان موقوفان لفظا فحكمهما حكم الرفع لأن مثلها لا يقال بالرأي والله أعلم هـ.

❖ ❖ ❖ ❖

تنبيه: قال ابن عرفة: فلو دراه فمات، أبو عمر ديته في ماله، المازري خرجه بعضهم من قول مالك في سقوط سن العاض لبتر المعضوض، أبو عمرو، قيل دمه هدر هـ، وقوله بين يدي المصلي أي إمامه بالقرب منه قال الأبي، واختلف في حد حرب المصلي الذي يمتنع فيه المرور، فقيل قدر رمي الحجر، وقيل قدر رمي السهم، وقيل قدر طول الرمح وقيل قدر مقاربة بالسيف، وأخذت كلها من لفظ المقاتلة، قال ابن العربي والجميع غلط أي لما تقدم من أن المقاتلة ليست حقيقة، قال وإنما يستحق المصلي قدر ركوعه وسجوده، لأنه القدر الذي رسم الشارع أن يكون بين المصي وسترته مما زاد عليه، لا يحرم المرور فيه، وفي نقل الدخيرة عن ابن أبي أن المصلي سواء صلى لسترة أم لا يستحق زيادة على مقدار ما يستحقه لقيامه وركوعه وسجوده هـ.

❖ ❖ ❖ ❖

وعليه فإذا أبعد المصلى السترة على القدر المذكور فلا إثم على من مر بينه وبينها إذا ترك له القدر المذكور، فانظره وقوله ماذا عليه، قال ابن حجر زاد الكشميهني من الإثم، وهذه الزيادة ليست في شيء منه، وكذا رواه باقي السنة وأصحاب المسانيد والمستخرجات بدونها، ولم ار هي في شيء من الروايات مطلقا، لكن في مصنف ابن أبي شيبة يعني من الإثم، فيحتمل أن تكون ذكرت في أصل البخاري حاشية فظنها الكشميهني أصلا لأنه لم يكن من أهل العلم ولا من الحفاظ، بل كان رواية، وقد عزاها المحب الطبري في الأحكام للبخاري، واطلق فصيب عليه ذلك وعلى صاحب العمدة لإيهامه أنها في الصحيح.

❖ ❖ ❖ ❖

وأنكر ابن الصلاح على من أثبتها في الخبر، فقال الإثم ليس في الحديث أصلا، ولما ذكر النووي في شرح المهذب بدوره قال: وفي رواية رويناها في الأربعين العبد القاهر الهروي، وسادا عليه من الإثم، وقوله لكان أن يقف أربعين، يعني أن المار لو علم مقدار الإثم الذي يلحضه من مروره بين يدي المصلي لاختار أن يقف المدة المذكورة حتى لا يلحقه ذلك الإثم، وقال الكرماني جواب لو ليس هو المذكور، بل التقدير لو يعلم ما عليه لوقف أربعين، ولو وقف أربعين لكان خيرا له هـ.

وظاهر سياق رواية البخاري أن يُسر اعين المعدود من كونه يوما أو شهرا أو سنة، ولكن أبو النضر الراوي عنه شك فيه، وقيل أبهمه تفخيما للأمر وتعظيما.

❖ ❖ ❖ ❖

وأبدى الكرماني لتخصيص الأربعين بالذكر حكمتين احدهما كون الأربعة أصل جميع الأعداد، فلما أريد التكثير ضربت في عشرة ثانيهما كون كمال أطوار الإنسان بأربعين كالنطفة والعلقة والمضغة، وبلوغ الرشد، هذا وفي ابن ماجة وابن حبان من حديث أبي هريرة التي خطاها، وكل ذلك على سبيل المبالغة في تعظيم الأمر لا لخصوص عدد معين، قال النووي، وفيه دليل عا ى تحريم المرور، فإن معنى الحديث النهي الأكيد، والوعيد الشديد.

في حكم السترة، قال ابن بشير، الإجماع على الأمر بالسترة فقيل إنها سنة ولو في نافلة، وهو قول ابن حبيب واختاره أبو عمر بن عبد البر في الكافي، واقتصر عليه الشيخ خليل فعطفها على السنن، قال أبو اسحاق التونسي، وسئل مالك عن موعظة الذي يصلي إلى غير سترة أواجب قال لا أدري ولكنه حسن، والعلماء مختلفون في ذلك، فمنهم من يقوى على أن يعظ الناس ومنهم من لا يقوى على ذلك، وقال ابن مسلمة من ترك السترة فقد أخطأ ولا شيء عليه، ولفظ ابن حبيب السنة الصلاة إلى السترة، وذلك من هيئات الصلاة قال التونسي انظر قوله من هيئات الصلاة ومن سننها فافهم ذلك ورتبه على الحكم في تارك السنن عمدا هـ نقله من التوضيح.

فمقتضاه أنه يجري في ترك ما ذكروه في تارك السنن عمدا من البطلان وعدمه مع الإستغفار والتوبة.

❖ ❖ ❖ ❖

القول الثاني أن السترة مستحبة وهو قول الباجي وابن رشد وعياض، وصدر به ابن عرفة، ولا يخفى أنه يعادل الأول.

القول الثالث: أنها واجبة خرجه ابن عبد السلام من تأثيم المار، وله مندوحة، ورده ابن عرفة بأن اتفاقهم على تعلق التأثيم بالمرور، نص في عدم الوجوب، واللازم دون مرور هـ.

❖ ❖ ❖ ❖

قلت ويرد على ابن عرفة بأن المرور ليس من فعل المصلي فكيف يأثم من فعل غيره، والظاهر أن الوجوب يخرج من إثم المصلي التارك لها المتعرض، إذ لا يأثم إلا بترك الواجب، فلو لم يكن السترة واجبة ما ترتب على تركها الاثم، لا يقال الإثم إنما ترتب على التعرض وهو غير الترك، لأنا نقول التعرض وحده لا يوجب إثما وإنما أوجبه حيث كان عن تركها، وكلام هنا... غير واضح لأنه بعد أن قرر الصور الأربع الآتية قال ما نصه فإن قيل كون المصلي يأثم منافيا لما قدمته ان السترة مندوب إليها، إذ لا يأثم الا بترك الواجب، قيل ما يتعلق به الإثم غير ما هو مندوب، إذ الندب متعلق بفعل السترة والإثم متعلق بتعرضه، وهما متضاربان والله أعلم هـ فتأمله.

❖ ❖ ❖ ❖

وفي ابن الحاجب ويأثم المار، وله مندوحة، والمصلي إن تعرض فتجيء أربع صور هـ، وأوضحها في التوضيح فانظره.

فيمن يخاطب بالسترة: أما المأموم فقال ابن بشير لا خلاف أنه لا يخاطب بها، قال في التوضيح واختلفت ألفاظ المذهب في علة سقوط السترة عن المأموم، فقيل لأن سترة الإمام سترة لهم، وقيل لأن الإمام سترة لهم واختلف المتأخرون هل العبارتان بمعنى واحد أو يختلف معناهما، وعليه فمعنى الثاني أن الإمام هو الساتر فإذا سقطت سترته كان الإمام باقيا على حكم الإستتار، بخلافه على الأول، وينشأ عن ذلك مسألة، فإن قلنا سترة الإمام سترة لمن خلفه جاز المرور بين الإمام والصف الذي يليه، كما أجاز ذلك مالك في الثالث والرابع.

وإن قلنا إن الإمام سترة لهم لم يجز، وفي المدونة، ولا بأس بالمرور بين الصفوف عرضا، والإمام سترة لهم هـ.

فقولها والإمام لخ. هو في معنى التعليل، وقد قال بعض النحاة أن الواو تكون للتعليل واستشكلت هذه العلة بأنه إذا كان الامام سترة لهم، فكيف يمر هذا بينهم وبين سترته هـ؟

وأجاب ابن عرفة بأن مراده أنه سترة لمن يليه حسا وحكما، وتقييده حكما فقط، والممنوع فيه المرور وهو الأول فقط هـ.

قال في التوضيح والصواب ما قاله الجلاب وعبد الوهاب أن سترة الإمام سترة لمن خلفه، وتأول أبو ابراهيم قول المدونة لأن الإمام سترة لهم على حذف مضاف، أي لأن سترة الإمام سترة لهم، وجعل المدونة والجلاب متفقين هـ ويؤيد ما قاله. أن في الجلاب هو لمالك حتى ينسبه لغيره، واستر الإمام والند فهما المخاطبان بها، ثم اختلف المذهب على قولين الأول أنهما إنما يومران بها إن خشيا مرورا أي ظنا أو شكا وهو الذي في المدونة، قال ابن عرفه: وفيها لا يصلي حيث يتوقع المرور إلا لها، فإن أو من صلى دونها هـ.

❖ ❖ ❖ ❖

قال ابن ناجي وهذا هو المشهور ونحوه في التوضيح، ولذا اقتصر عليه الخطاب وهو قول مالك في العتبية، واختاره اللخمي وبه قال ابن حبيب هـ.

وقال في التوضيح منشأ الخلاف هل شرعت السترة حذارا من مرور مار يشتغل به أو حريما للصلاة حتى يقف عنده نظره هـ.

❖ ❖ ❖ ❖

والذي يوخذ من استقراء أحوال النبي(ﷺ) الثابتة في الأحاديث المتقدمة وغيرها هو القول الثاني ولذا قال به إمام الأيمة، واختيار اللخمي لهذا القول يتنزل منزلة تشهير غيره للأول، وقد ذكر الخطاب في أول الخطبة أن التشهير لا يختص بهذه المادة بل يكون بالترجيح ونحوه، هذا مع أن صاحب القول الأول قيده بخشية المرور، وفسروا الخشية بالظن أو الشك وأطلقوا في المار من أي نوع كان من أنواع الحيوان وهذا ربما لا يتفق الأمن منه، ففي ابن يونس ما نصه: روى ابن وهب أن قطا أراد أن يمر بين يدي النبي(ﷺ) وهو يصلي فحبسه برجله هـ منه.

❖ ❖ ❖ ❖

ولا مفهوم للمرور، ومثله مناولة شيء بين يديه ففي المدونة ولا يناول من على يمينه من على يساره، وروى ابن القاسم، ولا يكلمه هـ.

فإذا نصب المصلي سترته فقد جاز حريمته وقصد عليه نظره وأمن من كل ما يشوش فكره وإن لم يخطر له أولا على بال وإن استوثق بالأبواب والأقفال والله تعالى أعلم.

❖ ❖ ❖ ❖

وفي ابن يونس وقال النبي(ﷺ) إذا صلى أحدكم إلى سترة فليدن من سترته، فإن الشيطان يمر بينه وبينها، وروي أن النبي(ﷺ) كان يصلي وبينه وبين القبلة قدر ممر الشاة، فقيل معنى ذلك أنه كان إذا سجد كان بينه وبين القبلة قدر ممر الشاة لا إن بين رجليه وبين القبلة هذا المقدار، لأنه كان يحتاج أن يتأخر إذا سجد فيصير ذلك عملا، ويؤيد ذلك أن في حديث آخر أن بينه وبين القبلة قدر ثلاثة أذرع، فهذا يتمكن له السجود من غير تأخر، وإذا تأول اتفق معنى الحديثين والله اعلم هـ.

في صفة السترة وشروطها: في الحديث سترة المصلي مثل مؤخرة الرَّحْل يجعله بين يديه، عياض مؤخرة للرجل هي العود الذي خلف الراكب، أبو عبيد وهو بضم الميم وكسر الخاء، وبينهما همزة ساكنة، وفي المدونة قال مالك هو نحو من عظم الدراع يريد في الارتفاع، قال وإني لأحب أن يكون في جلسة الرمح والحربة، يريد في غلظه هـ.

❖ ❖ ❖ ❖

وقال في التوضيح، وللسترة خمسة شروط: أن تكون طاهرة ثابتة مما لا تشغل في غلظ الرمح وطول الدراع، فاحترزنا بالطاهر من الأشياء النجسة فلا يستر بها كقصب المرحاض ونحوه، وبالثابت مما لا يثبت فلا يستر بمجنون مطبق ولا صغير لا يثبت قاله ابن القاسم، واحترزنا بما لا يشغل من المرأة والمابون والكافر فإنه لا يستر بذلك ولا بما في معناه قال ابن القاسم ولو صلى وهم أمامه لم أر عليه إعادة ناسيا كان أو عامدا، وهو بمنزلة الذي يصلي وأمامه جدار مرحاض قال مالك: ولا يصلي إلى النائم لأنه قد يحدث منه شيء يشوش على المصلي، قد قال النبي (ﷺ) اني نهيت أن أصلي على النائمين والمتحدثين.

وقال في العتبية ولا يصلي إلى الخيل والحمير لأن أبوالها نجسة بخلاف الإبل والمعز والغنم لأن أبوالها طاهرة، قال ابن القاسم كأنه لا يرى بأسا بالسترة بالبقر والشاة، قاله في المدونة، واكره أن يصلي للحجر الواحد أي خوف التشبيه بعبدة الاصنام، وأما أحجار كثيرة فجايزة هـ.

❖ ❖ ❖ ❖

وفي التوضيح ولا يصلي إلى ظهر امرأة ليست محرما وإن كانت امرأته وهل يستتر بامرأة من ذوات محارمه؟ في الجلاب وغيره الجواز، وفي المجموعة لا يستتر بامرأة وإن كانت أمه وأخته، وتجوز الصلاة إلى ظهر الرجل إذا رضي أن يثبت له حتى تنقضي صلاته، ولا يصلي إلى وجهه لأن ذلك يشغله وفي الاستتار بجنبه روايتان، وفي الجلاب يصلي الرجل إلى حلق المتكلمين في الفقه وغيره لما فيه من شغل البال، وفي اللخمي والمازري واختلف في الصلاة إلى الحلقة، فأجيز لأن الذي يليه ظهر أحدهم، وكره لأن وجه الآخر يقابله هـ.

قال في المدونة والخط باطل، قال عياض في شرح مسلم وتحديده في الحديث بآخرة الرجل يدل على أنه الخط باطل، وجاء في الاكتفاء به حديث ضعيف أخذ به الإمام أحمد هـ.

❖ ❖ ❖ ❖

قال النووي حديث الخط خرجه أبو داوود واختلف في الأخذ به قول الشافعي واستحبه جمهور أصحابه وليس في حديث لمسلم ما يدل بطلانه يعني خلافا لقول عياض المتقدم، وقال الا في كون الخط باطل هو المعروف لمالك في المدونة وغيرها ونقل القرافي أن أشهب أجازه في العتبية، والذي في العتبية محتمل قال فيها أشهب ويصلي بالصحراء إلى سترة، فإن لم يجد صلى دونها، ولا يجعل خطا وذلك واسع هـ.

❖ ❖ ❖ ❖

قال ابن رشد الواسع هو صلاته دون سترة لا إلى الخط لأنه عنده باطل هـ، وقال ابن حجر في تخريجه أحاديث الرافعي حديث الخط رواه الشافعي وأحمد وأبو داوود وابن ماجة وابن حبان والبيهقي وصححه أحمد وابن المديني فيما نقله أبو عمر بن عبد البر في الاستذكار، وأشار إلى ضعفه سفيان بن عيينة والشافعي والبغوي وغيرهم، فحديث الخط اذن دايرٍ بين الصحة والضعف فلا وجه للبطلان والله المستعان وعليه التكلان.

❖ ❖ ❖ ❖

وصلى الله على سيدنا محمد أشرف ولد عدنان.

❖ ❖ ❖ ❖

انتهى من خط شيخنا العالم العلامة المشارك النحرير الفهامة شيخنا وسيدنا وسندنا العارف بربه ابا عبد الله سيدي محمد بنيس.

أدام الله وجوده آمين بحرمة النبي الكريم .

غ ع ح 141

في ظلال الحديث :

الحديث السابع والتسعون: من هو الذبيح؟؟إسماعيل أم إسحاق؟؟

■إعداد الأستاذ: عبد الله بوغوتة

نص الحديث:

عن معاوية قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتاه الأعرابي فقال: يارسول الله خلفت البلاد يابسة والماء يابسا هلك المال وضاع العيال فعد علي بما أفاء الله عليك يا بن الذبيحين فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينكر. أخرجه الحاكم.

الحلقة الأولى

تخريج الحديث ودرجته:

أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، باب ذكر إسماعيل بن إبراهيم صلوات الله عليهما، رقم:3995. فقال: عن عبد الله بن سعيد الصنابجي قال: حضرنا مجلس معاوية بن أبي سفيان فتذاكر القوم إسماعيل وإسحاق بن إبراهيم فقال بعضهم: الذبيح إسماعيل وقال بعضهم: بل إسحاق الذبيح، فقال معاوية سقطتم على الخبير كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتاه الأعرابي فقال: يارسول الله خلفت البلاد يابسة والماء يابسا هلك المال وضاع العيال فعد علي بما أفاء الله عليك يا بن الذبيحين فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليه.

فقلنا يا أمير المؤمنين وما الذبيحان قال إن عبد المطلب لما أمر بحفر زمزم نذر لله إن سهل الله أمرها أن ينحر بعض ولده فاخرجهم فاسهم بينهم فخرج السهم لعبد الله فأراد ذبحه فمنعه أخاله من بني مخزوم وقالوا أرض ربك وافد ابنك قال ففداه بمائة ناقة قال فهو الذبيح وإسماعيل الثاني.

وقد ذكره الزمخشري في الكشاف، وقال الزيلعي في تخريج أحاديثه: غريب، وجاء في المواهب وشرحها للزرقاني وابن جرير وابن مردويه والثعلبي في تفاسيرهم، والحديث حسن بل صححه الحاكم والذهبي لتقويه بتعدد طرقه.

أهمية الحديث:

هذا حديث ذو أهمية خاصة، إذ يتناول قضية من أهم وأخطر القضايا، وهي مسألة من هو الذبيح: إسماعيل أم إسحاق، إذ الأمر في جوهره يتعلق بنسب النبي صلى الله عليه وسلم، ولذلك وجب التدقيق والتمحيص، خصوصا وأن الأمة مجمعة بمختلف طوائفها وفرقها، أنه صلى الله عليه وسلم من ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام.

المعنى العام

لقد أثار انتباهي، كما هو الأمر بالنسبة لقراء جريدة " ميثاق الرابطة" ما جاء في مقالة الأستاذ مراد الخروبي، نظرات في كتاب "سراج الملوك" لمحمد بن الوليد الطرطوشي: (عدد1053ص9)والتي ذكر فيها أن الإمام الطرطوشي قد أخطأ عندما قال بأن الذبيح هو إسحاق، والمقالة الثانية التي جاءت ردا عليها والتي تفضل بها الأستاذ عبد القادر العافية تحت عنوان "تخطيء الإمام الطرطوشي"(عدد 1056ص2)والتي أكد فيها على صحة ماذهب إليه الإمام الطرطوشي من أن الذبيح هو "إسحاق".

والحقيقة أن المقالين. مع تقديري واحترامي للأستاذين الفاضلين الجليلين. لم يحسما في الخلاف، بكيفية موضوعية ومقنعة وذلك بسرد مختلف الأقوال الواردة في الموضوع وتمحيصها قصد الوصول إلى المشهور وما عليه جمهور علماء الأمة، خصوصا وأن المسألة خلافية قديمة، وتكلم فيها غير واحد من السلف الصالح...

وهكذا وقياما بأداء الأمانة العلمية ومساهمة مني في إغناء الموضوع، تصفحت عددا من كتب الأولين والآخرين لعدد من علماء الأمة بمختلف مذاهبهم ومشاربهم وتوجهاتهم، منقبا وباحثا على مايحسم الأمر. محاولا التحلي بالموضوعية ما أمكنني. خصوصا أن الأمر يتعلق بمسألة هامة، ألا وهي النسل الشريف لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

هذا ماجعلني أبحث في بداية الأمر عن مدى صحة الحديث المتداول بكثرة على الألسنة وهو: "أنا ابن الذبيحين" والذي قلما تخلو منه كتب السيرة وقصص الأنبياء والتفسير...

1. الكلام عن حديث: أنا ابن الذبيحين"

حديث "أنا ابن الذبيحين" متكلم فيه عند أهل الحديث، وليس هو بصحيح، فقد رواه الحاكم في (المستدرك 4090) وقال عنه الذهبي: "إسناده واهٍ"، وقال عنه الألباني: "لا أصل له" انظر (الضعيفة1677).

كذا في الكشاف، قال الزيلعي وابن حجر في تخريج أحاديثه لم نجده بهذا اللفظ.

2. نسب النبي صلى الله عليه وسلم

رسول الله صلى الله عليه وسلم خير أهل الأرض نسبا على الإطلاق، فلنسبه من الشرف أعلى ذروة، وأعداؤه كانوا يشهدون له بذلك، ولهذا شهد له به عدوه إذ ذاك أبو سفيان بين يدي ملك الروم، فأشرف القوم قومه، وأشرف القبائل قبيلته، وأشرف الأفخاذ فخذه.

ونسب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ينقسم إلى ثلاثة أجزاء: جزء اتفق عليه كافة أهل السير والأنساب، وهو الجزء الذي يبدئ منه صلى الله عليه وسلم وينتهي إلى عدنان.

وجزء آخر كثر فيه الاختلاف، حتى جاوز حد الجمع والائتلاف، وهو الجزء الذي يبدئ بعد عدنان وينتهي إلى إبراهيم عليه السلام فقد توقف فيه قوم، وقالوا: لايجوز سرده، بينما جوزه آخرون وساقوه. ثم اختلف هؤلاء المجوزون في عدد الآباء وأسمائهم، فاشتد اختلافهم وكثرت أقوالهم حتى جاوزت ثلاثين قولا، إلا أن الجميع متفقون على أن عدنان من صريح ولد إسماعيل عليه السلام.

أما الجزء الثالث فهو يبدأ من بعد إبراهيم عليه السلام وينتهي إلى آدم عليه السلام، وجل الاعتماد فيه على نقل أهل الكتاب، وعندهم فيه من بعض تفاصيل الأعمال وغيرها ما لانشك في بطلانه، بينما نتوقف في البقية الباقية.

3. إسماعيل هو الذبيح

بعدما ذكرنا ما اتفق عليه العلماء في مسألة النسب الشريف للنبي صلى الله عليه وسلم، نرجع إلى الحديث الذي بين أيدينا، فنذكر ما قاله المحدثون، لنعرض بعد ذلك أقوال المفسرين، للخروج إلى خلاصة، نراها هي الصواب وما عليه الجمهور...

لقد ذكر الحاكم الحديث باللفظ الذي نحن بصدده في مستدركه، وفيه قال صاحب المقاصد حديث ابن الذبيحين رواه الحاكم في المناقب من مستدركه من حديث عبيد الله بن محمد العتبي قال حدثنا عبد الله بن سعيد عن الصنابجي قال حضرنا مجلس معاوية بن أبي سفيان، وذكر الحديث.

وأقول: فحينئذ لاينافيه مانقله الحلبي في سيرته عن السيوطي أن هذا الحديث غريب، وفي إسناده من لايعرف انتهى، وفيه دليل على أن الذبيح إسماعيل، وهو الصحيح، وفي الهدي لابن القيم (ص:230): إسماعيل هو الذبيح على القول الصواب عند علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم.

وقال عبد الله بن عمر وعامر بن أثلة وسعيد بن المسيب والشعبي، ومجاهد: إن الذبيح إسماعيل.

وكان الشعبي يقول: رأيت قرن الكبش الذي كان فدا إسماعيل معلقا من الكعبة ثم أحرق البيت وما فيه الحجاج بن يوسف في أيام خلافة عبد الله بن الزبير.

وروى عمر بن عبيد عن الحسن البصري أنه قال: لايشك في أن الذبيح هو إسماعيل.

وإليه ذهب عطاء بن أبي رباح.

وروى عبد الله بن عباس أن الذبيح إسماعيل وقال: إن اليهود حرفوا ذلك حسدا ونقلوا الذبيح إلى إسحاق.

وأما القول بأنه إسحاق فباطل بأكثر من عشرين وجها، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يقول: هذا القول إنما هو متلقى عن أهل الكتاب، مع أنه باطل بنص كتابهم، فإن فيه: إن الله أمر إبراهيم أن يذبح ابنه بكره، وفي لفظ: وحيده، ولايشك أهل الكتاب مع المسلمين أن إسماعيل هو بكر اولاده، والذي غر أصحاب هذا القول أن في التوراة التي بأيديهم: اذبح ابنك إسحاق، قال: وهذه الزيادة من تحريفهم وكذبهم، لأنها تناقض قوله: اذبح بكرك ووحيدك، ولكن اليهود حسدت بني إسماعيل على هذا الشرف، وأحبوا أن يكون لهم، وأن يسوقوه إليهم، ويحتازوه لأنفسهم دون العرب، ويأبى الله إلا أن يجعل فضله لأهله. وكيف يسوغ أن يقال: إن الذبيح إسحاق، والله تعالى قد بشر أم إسحاق به وبابنه يعقوب، فقال تعالى عن الملائكة: إنهم قالوا لإبراهيم لما أتوه بالبشرى: (قالوا لاتخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب) (هود: 71.70)فمحال أن يبشرها بأنه يكون لها ولد، ثم يأمر بذبحه.

ويدل عليه أيضا أن الله سبحانه لما ذكر قصة إبراهيم وابنه الذبيح في سورة (الصافات)قال: (فلما أسلما وتله للجبين، وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين إن هذا لهو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم وتركنا عليه في الآخرين سلام على إبراهيم، كذلك نجزي المحسنين، إنه من عبادنا المومنين) (الصافات:111،103) ثم قال تعالى : (وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين)(الصافات:112) فهذه بشارة من الله تعالى له شكرا على صبره على ما أمر به، وهذا ظاهر جدا في أن المبشر به غير الأول، بل هو كالنص فيه.

فإن قيل: فالبشارة الثانية وقعت على نبوته، أي: لما صبر الأب على ما أمر به، وأسلم الولد لأمر الله، جازاه الله على ذلك بأن أعطاه النبوة.

وأيضا، فإن الله سبحانه سمى الذبيح حليما، لأنه لا أحلم ممن أسلم نفسه للذبح طاعة لربه. ولما ذكر إسحاق سماه عليما، فقال تعالى: (قالوا لاتخف وبشروه بغلام عليم) الذاريات:12، وهذا إسحاق بلا ريب، لأنه من امرأته، وهي المبشرة به، وأما إسماعيل، فمن السرية. وأيضا فإنهما بشرا به على الكبر سبحانه واليأس من الولد، وهذا بخلاف إسماعيل، فإنه ولد قبل ذلك.

وأيضا، فإن الله سبحانه أجرى العادة البشرية أن بكر الأولاد أحب إلى الوالدين ممن بعده، وإبراهيم عليه السلام لما سأل ربه الولد، ووهبه له، تعلقت شعبة من قلبه بمحبته، والله تعالى قد اتخذه خليلا والخلة منصب يقتضي توحيد المحبوب بالمحبة، وأن لايشارك بينه وبين غيره فيها، فلما أخذ الولد شعبة من قلب الوالد، جاءت غيرة الخلة تنتزعها من قلب الخليل، فأمره بذبح المحبوب، فلما أقدم على ذبحه، وكانت محبة الله أعظم عنده من محبة الولد، خلصت الخلة حينئذ من شوائب المشاركة، فلم يبق في الذبح مصلحة، إذ كانت المصلحة إنما هي في العزم وتوطين النفس عليه، فقد حصل المقصود، فنسخ الأمر، وفدي الذبيح، وصدق الخليل الرؤيا، وحصل مراد الرب. ومعلوم أن هذا الامتحان والاختبار إنما حصل عند أول مولود، ولم يكن ليحصل في المولود الآخر دون الأول، بل لم يحصل عند المولود الآخر من مزاحمة الخلة مايقتضي الأمر بذبحه، وهذا في غاية الظهور.

وفي الحلقة القادمة سنعرض بإذن الله تعالى لمختلف أقوال العلماء في الموضوع، للدلالة على أن أغلبهم يقرر بأن الذبيح هو إسماعيل...

والله أعلم بالمراد وهو الهادي إلى سواء السبيل.

حديث المنابر

صحيفة عام كامل طويت من عمرنا

■ إعداد الأستاذ: محمد بن جلون

الخطبة الأولى:

■ الحمد لله الذي خلق الأكوان والإنسان وقدر الآجال والأزمان وجعل الشمس ضياء والقمر نورا لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون.

لا إله إلا الله وحده لاشريك له هو القاهر فوق عباده سيدنا محمد عبد الله ورسوله المبلغ الصادق الأمين رحمة الله للعالمين صلى الله وسلم وبارك عليه وآله وصحبه وخلفائه وأزواجه وتابعيه بإحسان إلى يوم لاريب فيه.

إخوتي المومنين: ها هو عام كامل قد انقضى ومضى وانتقص من عمرنا جميعا. وأعمارنا قصيرة محدودة باليوم والساعة والدقيقة.

دقات قلب المرء قائلة لـــه:

إن الحياة دقائق وثـــوان

وهاهي صحيفة عام كامل قد طويت من كتابنا الذي ألزمناه الله في عنق كل واحد منا سنلقاه غدا كتابا منشورا (اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) وهاهو فصل من فصول رواية حياتنا قد انسدل عليه ستار عام مضى بخيره وشره بمختلف أحداثه...فهل فكرنا. ونحن جميعا لنا مسؤولية دينية ودنيوية . في هذا الواقع الملموس وهل اتعظنا بأولئك الناس الذين عاشوا معنا العام الماضي أو بعضه ورحلوا عنا وسبقونا إلى الدار الآخرة التي هي معادنا جميعا؟ فكم من الأصحاب والأقارب وكم من جار وصهر ورفيق عايشونا بالأمس قد صاروا اليوم تحت أطباق التراب وإذا ناديناهم فلايستطيع واحد منهم رد جواب... فإلى متى أيها الإخوة المؤمنون ونحن عن هذا المصير المحتوم غافلون؟ وإلى متى ونحن عن واجبات الدين لاهون أو معرضون؟ وإلى متى ونحن بالشهوات الزائلة اللاهية عن الله مغرورون؟ إنه في غضون هذا العام المنصرم من حياتنا قد سجل علينا جميع ماعملناه (وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ماتفعلون)

فهل يستطيع أحد أن يستدرك مما قد سجل عليه؟ هيهات،مامضى فات... فياسعد من اتقى وصدق بالحسنى ولم يشرك بعبادة ربه أحدا، فإنه يجد بدون شك: (يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضرا).

أيها المومنون: إننا جميعا في هذه الحياة الدنيا مجرد مسافرين ليبلونا الله أينا أحسن عملا: يبتدئ سفرنا بيوم ولادتنا وينتهي بيوم لحدنا، وزادنا في مطية عمرنا هو عملنا الصالح بتقوى الله سرا وعلانية، وإن مراحل سفرنا هي الأعوام والأيام والساعات التي إذا مضت لايعود منها شيء أبدا.

وإن محطتنا الأولى بعد هذا السفر هو التراب والقبر الذي هو روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار. (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى).

أيها الأخ المؤمن أيها الشباب الصالح: اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا، وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمنكبي فقال: "كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل" وكان ابن عمر يقول : (إذا أمسيت فلا تنظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنظر المساء وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك) رواه البخاري. واعلم دائما بأن تقوى الله في جميع أعمالنا دينا ودنيا مع سائر خلق الله سرا أو جهرا هي العلامة الواضحة على انشراح صدر المؤمن بنور الإيمان وعلى امتلاء قلبه بروح الإسلام الحنيف، كما قال الله تعالى (أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه).

فإذا انشرح صدر المسلم الصادق بنور الإيمان وامتلأ قلبه بروح الإسلام، تناخى وتعاون وتماسك مع إخوته من بني الإنسان على السلم والأمان والأمن والطمأنينة، وعلى نشر العدل والإحسان والمحبة بينهم لتحيى البشرية في أمن وهدوء واطمئنان.

اللهم نور بصائرنا بنور ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ونعوذ بك من دنيا تمنع الآخرة ونسألك الاعتصام بحبلك على نهج سنة نبيك في الدين والدنيا آمين والحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية:

: من مغزى ذكرى الهجرة

الحمد لله الذي أوجد الكائنات بمحض مشيئته، رفع السماوات بغير عمد بعزيز قدرته وبسط الأرض دون أوتاد بجليل حكمته لاإله إلا الله وحده لاشريك له سيدنا محمد عبده ورسوله ومصطفاه صلى الله وسلم وبارك عليه وآله وصحبه إلى يوم يبعثون.

أيها المؤمنون: كلما أهل هلال المحرم وأشرقت علينا . معشر المسلمين . أنوار ذكرى الهجرة النبوية الخالدة . تلك الهجرة التي قلبت أوضاع الزمان رأسا على عقب وأخرجت البشرية من ظلمات الكفر والإشراك والجهل إلى أنوار الإيمان بالله وحده لاشريك له ومزايا العلم والعدل والمساواة. فكانت ذكرى الهجرة للمسلمين رمزا دائما لمصدر إلهام وإشعاع لسائرهم يشحذون عزائمهم بسرها لنصرة الحق ويحفز همهم لإدحاض الباطل ولرفع كلمة الحق بين أنصار الحق وبين رجاله وأعوانه الذين يريدون الله ورسوله والدار الآخرة.

إن ذكرى الهجرة المحمدية ترسم على الدوام والاستمرار المنهج الواضح والطريق البين لتطبيق مبادئ الإسلام وتضع الأسس القويمة التي يجب على المسلم أن يسلكها بإخلاص، والتي هي أولى مميزات ذكرى الهجرة (قل ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) وقال تعالى: (ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر).

هذه المبادئ الإسلامية النبيلة كانت مغزى ذكرى الهجرة الذي يسري دوما مع جميع حياة المسلم ليهجر جميع المخالفات وينبذ جيمع المنكرات التي تخدش بحياته وتسير بمجتمعه وتشين بعزة دينه وتنسب إليه وللمسلمين ماليس من الدين في شيء. كتعاطي الخمور والمخدرات وارتكاب ألواع الجرائم بالاعتداء باسم الدين على أموال الناس بالباطل وبالظلم الصراح بالتعمد بإعدام بعض الأبرياء من الناس باسم إقامة العدل وتطبيق شريعة الإسلام المنزهة عن ذلك.

أيها الإخوة المؤمنون. أيها الشباب المسلم:

إن مغزى ذكرى الهجرة. هو الأخوة الإنسانية والأخوة الإسلامية بوجه خاص. يقول الله تعالى :(وتعاونوا على البر والتقوى ولاتعاونوا على الإثم والعدوان) وصح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (المومن للمومن كالبنيان يشد بعضه بعضا" ولاأدل على مبادئ السلم والإخاء وعلى النهي عن الفوضى والتفرقة والعصبية المقوتة من قوله عليه الصلاة والسلام في الصحيح:

"لايومن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه"

فجدير بنا وبشبابنا (أفلاذنا)أن نستقبل من أمرنا كله ماقد استدبرناه وأن نسير تحت ظلال ذكرى الهجرة المحمدية لعام 1425 بأن نطبق قوله تعالى: (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم).

جعلنا الله وإياكم من المعتصمين بكتاب الله وسنة مولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، اللهم إنا نسألك العفو والعافية والمعافاة في الدين والدنيا وحسن الآخرة وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وأصحابه وخلفائه الراشدين . وأزواجه أمهات المومنين وعلى جميع التابعين بإحسان إلى يوم لاريب فيه.

وانصر اللهم أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس، اللهم وفقه لخير البلاد والعباد، وأصلح به وعلى يديه. واحفظه في ولي عهده سمو الأمير مولاي الحسن وأنبته نباتا حسنا، وفي شقيقه صاحب السمو الملكي الأمير مولاي رشيد وفي كافة الأسرة الملكية الشريفة.

ربنا اغفر لنا ولوالدنا وللمومنين يوم يقوم الحساب، ربنا هب لنا من أزواجنا وذريتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين اماما، ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشهدين آمين، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

القرآن المرتل

حرف الخاء

■ الأستاذ: عبد الواحد بن سكى

حرف حلقي منفتح، يجري النفس معه بانفراج بين اللسان والحنك الأعلى، عند النطق به، لأن ضعف الاعتماد عليه في مخرجه، أضعف التصويت به، مما جعله حرفا مهموسا خفيا. كما أن ضعف لزوم الحرف لموضعه أجرى معه الصوت، بسهولة ولين، ليصبح بذلك حرفا رخوا قابلا للتمديد. يضاف إلى ذلك أن مؤخر اللسان يرتفع نحو الطبق وهو الجزء اللين من سقف الفم، ويضيق مجرى الهواء دون أن ينحصر الصوت بينهما بحيث يسمح لحرف الخاء بالخروج منفتحا. وهذه الكيفية العارضة للخاء تسمى بصفة الاستعلاء. ولهذا يعد حرف الخاء من الأصوات المستعلية أي لأن الصوت يعلو عند النطق به إلى سقف الفم. والاستعلاء من الصفات القوية حروفه سبعة وهي المجموعة في هجاء خص ضغط قظ:ا.خ. 2.ص 3.ض. 4.غ. 5.ط. 6.ق. 7.ظ.

والملاحظ أنه لايلزم أن يكون الحرف لسانيا ليستعلي اللسان به ويرتفع، كما لايلزم إلصاق جملة من اللسان على الطبق عند النطق بالحرف المستعلي. فالغين والخاء يخرجان من أدنى الحلق ويحصل عند النطق بهما استعلاء ماقارب الحلق وهو أقصى اللسان. لهذا عدتا من حروف الاستعلاء وليس من حروف الإطباق لأن الإطباق أخص من الاستعلاء (كل حرف مطبق مستعل والعكس غير صحيح) ويترتب على الاستعلاء التفخيم وحروفه كلها مفخمة لايستثنى شيء منها في حال من الأحوال إلا أن تفخيمها ليس في رتبة واحدة فأقواه إذا فتحت وليس بعدها ألف، ويليه إذا فتحت وليس بعدها ألف، ويليه إذا كانت مضمومة، ويليه إذا كانت ساكنة، ودونه إذا كانت مكسورة. وأما الألف فلا توصف بترقيق ولاتفخيم بل تكون تابعة لما قبلها ترقيقا وتفخيما على الصواب كما في النشر.

ومن الصفات الأخرى لحرف الخاء أنه ثقيل على اللسان.

أي، عندما تتلفظ بحرف الخاء ساكنا بعد همزة وصل، تجد أن في تلفظك به كلفة وصعوبة، بالمقارنة مع اللام أو الميم أو الفاء، من قولك:الْ. امْ. افْ ولذلك سميت الخاء وما ماثلها في هذه الصفة بالحروف المصمتة وهي ما عدا حروف: (مربنفل).

ومما ينبغي، الاعتناء بحرف الخاء عند النطق به ساكنا، وإلا ربما انقلبت الخاء غينا لأنه لافرق بين الخاء والغين إلا بكون الأولى مهموسة والثانية مجهورة.

قال تعالى: ولا تخشى (طه 77)، و . اختار موسى (الأعراف155)، و . اختلط (الأنعام 146) و. يختم (الشورى24)ونحو ذلك.

علم التوقيت وآلة ذات الكرسي

- الحلقة الأولى -

■ إعداد الأستاذ: محمد الرمشاني

الكرة الفلكية المصطنعة نوعان : كرة أرضية ، وكرة سماوية

أما الكرة الأرضية : فهي الأساس والمرجع المساعد في دراسة علم الجغرافيا.

والجغرافيا : لفظة يونانية ، ومعناها رسم الأرض ، وهي مركبة من لفظتين إحداهما جيو : ومعناها الأرض ، والثانية غرافس ومعناها رسم، أو تخطيط ، ثم عربت إلى جغرافيا ، وهي علم يبحث عن معرفة أسماء ومواضع البلدان المختلفة التي توجد على سطح الكرة الأرضية وعظمها ودوارنها ، وخطوط الطول والعرض ، وعن حكومتها السياسية وغير ذلك مما هو معلوم في بابه.

ولهذه الكرة أهمية كبرى في التعرف على أي نقطة من سطح الكرة الأرضية بعد معرفة إحداثيات التقاء خط الطول مع خط العرض.

فتجدها تدور على محور يمر بالقطب الشمالي والجنوبي ، وتحيط بهذه الكرة نصف دائرة مدرجة إلى 90 درجة شمال وجنوب خط الاستواء بحيث تلاحظ على خط الاستواء نقطة الصفر ، وهذه الكرة موجودة بالمكتبات .

وقد ألف عليها عالم مصري أسمه : عبد الرزاق درويش. كتابا سماه " المشكاة السنية في الكرة الأرضية" يحتوي على 260 صفحة من القطاع المتوسط ، طبع بمصر عام 1291هـ .

ويتخلل هذا الكتاب خرائط جغرافية.

يقول المؤلف في أول كتابه هذا:

رتبتها (يعني بها المشكاة) على مقدمة وسبعة أقسام ، فالمقدمة في أشياء يحتاج إليها الشارع في هذا الفن . كتعريف هذا العالم وتقسيم مسطح الكرة على سبيل الإجمال ، وأما القسم الأول في إفريقيا ، والثاني في آسيا، والثالث في أوروبا، والرابع في أمريكا الشمالية ، والخامس في أمريكا الجنوبية ، والسادس في أسترليا ، والسابع في بوليزيا ، وكل قسم من هذه الأقسام مصحوبة بخريطة مبينة فيها ولايته والمعالم الشهيرة فيه وجعلت الكلام في ذلك كله مبنيا على سؤال وجواب ليسهل على المبتدئ تحصيله والله الموفق إلى الصواب انتهى.

ولنعد الآن إلى ما نحن بصدده وهو . الكرة السماوية . وهي المقصودة بهذا المقال : والكرة هذه المسماة" بذات الكرسي " هي التي تعكس المقعر السماوي كما يرى من الأرض ، ويعرض مقام الناظر في مركز الكرة، وفي هذه الكرة السماوية الاصطناعية منطقة من النحاس مدرجة تقوم على قطبي العالم ، تشكل دائرة نصف النهار أي الهاجرة، ويقاس عليها عرض الأماكن على سطح الأرض وميل الأجرام السماوية والأفق الخشبي يقوم مقام الأفق الحقيقي ، ويقاس عليه السموت والسعة، وتتعين عليه البروج والشهور وأيامها ودرجة الشمس ، وهناك دائرة صغرى على الساعات تدور حول القطب الشمالي ، تعرف بها ساعات التوقيت العالمي وصعود الفلك المستقيم ، ويصحب هذه الكرة ربع الارتفاع ، وهو قوس من نحاس أو غيره يساوي 90 أي ربع دائرة مدرج يقاس به الارتفاع.

وهذه الكرة تدور حول نفسها ، ويرفع ويخفظ قطباها تبعا لعرض البلد المطلوب ، وهي جالسة على مائدة مثقوبة الوسط داخلة هذه الكرة فيها ، وهذه المائدة لها قوائم تشبه الكرسي ، ولذلك سميت هذه الآلة (بذات الكرسي).

وصنع هذه الكرة يحتاج إلى تقنية عالية وحنكة كبيرة ، وخبرة واسعة في علم الرسم والهندسة وعلم الفلك.

وقد تكفل بصنعها فريد عصره العلامة أبو الحسن علي المراكشي عام 660 في كتابه ، جامع المبادئ والغايات ، فقد أفاض رحمه الله في كيفية رسم جميع خطوطهاوالأجزاء التابعة لها و كما عقد لها بابا في كيفية العمل بها.

ويلفني أن هذه لكرة توجد بالمكتبة العامة الكبيرة بأوروبا ، وقد وقفت مرة على واحدة منها في ملكية أحد الأشخاص ، اقتناها من أوروبا للزينة فقط، وحين أمعنت النظر فيها وجدتها عجيبة الصنع في غاية الدقة محكمة الدوران، عليها أسماء كثيرة من صور الكواكب الشمالية والجنوبية باللغة اللاتينية، وعليها أيضا صور البروج بأشكالها المتقاربة لأسمائها ، ورسمت عليها دائرة معدل انهار، تجلس هذه الكرة على كرسي في غاية الزخرفة من النقوش على صنف جيد من الخشب الغالي الثمن.

إن اقتناء هذه الكرة يكون فرصة مناسبة لهواة علم الفلك، فهي تساعد كثيرا على علم الهيئة وتسهل إدراك تصوير الدوائر الفلكية المتوهمة ، كما تقرب جدا تصور التوقيت الزمني في جميع العروض شمالا وجنوبا ، وتحدد طلوع وغروب جميع الكواكب مما في ذلك الشمس والقمر على جميع الآفاق.

ومن أهم ما تساعد عليه هذه الكرة ، هو التعرف بسرعة على جميع الكواكب الثابتة وغيرها ، سواء كانت هذه الثابتة مرسومة عليها أم لا ، فإن كانت مرسومة عليها فأمرها واضح، وإن كانت غير مرسومة فبسهولة تتمكن من رسمها بتحديد إحداثيات طول وعرض الكوكب من الجداول المعدة لذلك. فطول الكوكب هو درجته في البروج الاثني عشر بدءا من الحمل، وعرضه هو قوس من دائرة تمر بقطبي فلك البروج عمودا على دائرة البروج.

أما الكواكب غير الثابتة كالسيارات مثل عطارد والزهرة والقمر والمريخ والمشتري وزحل، فما عليك إلا أن تعرف طولها وعرضها وتحدد نقطة إحداثياتها على سطح الكرة ، تحصل على شروقها وغروبها وتوسطها وسمتها في كل عرض وفي كل وقت.

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن هذه الكرة لها دور هام في ضوابط رؤية الهلال في كل أفق ، وفي كل عرض ، وفي كل وقت ، فإذا كانت لديك معطيات إحداثية القمر تمكنت من تحديد تواجده وبكل دقة ، فيتضح لك جرم القمر مع دوران الكرة هل على ما هو عليه، سواء أكان على الشروق، أم على الغروب، أم على التوسط ، أم تحت الأفق ، وتعرف بذلك ارتفاعه وسمته في كل وقت وفي كل عرض ، وعلى أي نقطة من الكرة الأرضية، بدون كلفة الحساب.

ففي ليلة الرؤية مثلا إذا حددت بالحساب الزيجي طول وعرض القمر المرئيين ، ووضعت هذه النقطة على سطح الكرة، وتدير الكرة حتى تلتقي مطالع الوقت على دائرة نصف النهار، فبسرعة تجد ارتفاع القمر إن كان مرتفعا ، أو تحت الأفق إن كان غاربا ، وتجد سمته انطلاقا من مكان الرصد ، فإذا كان لديك جهاز التيودوليت، ونصبته على الجهات الأربع ورفعت المنظار بقدر ارتفاع القمر وأدرته بقدر السمت المحدد بالكرة فإنك قطعا سترى الهلال على المنظار.

ولهذه الكرة أهمية أخرى وهي تعين بشكل فعال على التعرف على صور الكواكب في السماء لأنك بدونها تحتاج إلى مرشد. كما قال أبو علي الحسن بن الهيثم في عينيته:

ولابد من شيخ يريك شخوصها
فتعرفها بالاسم والعين أقطع
وإلا فنصف العلم عندك حاصل
ونصف إذا حاولته يتمنع

فالله تعالى أشاد بزينة هذه الكواكب إذ قال :(إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب) ، وقال أيضا:(وجعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين...) وقال أيضا:(وعلامات وبالنجم هم يهتدون...)، وقال تعالى أيضا:(تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا..) وقال أيضا :(كل في فلك يسبحون...) وقال أيضا:(والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم...) وقال أيضا:(والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم..) وقال عز من قائل:(وخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون....)

فمنذ البداية حاول الإنسان التعرف على نفسه ، وبعد ذلك حاول التعرف على هذا الكون، البديع الصنع ، المترابط الأجزاء ، المتناسق التوزيع، فدرس كل الأشياء (ظاهرة وباطنة) ، وسخر كل الاكتشافات والاختراعات وانتفع بها واستفاد منها ، ثم تطلع إلى الأرض بفكره الثاقب ، تفحص ما عليها من مخلوقات ، وانبهر بما شاهده عليها من معجزات وخوارق برا وبحرا، وما تتميز به هذه المكونات من تناسق تام وتكامل مطلق وإبداع متناه، فتراءت له وحدة الحق سبحانه من خلال وحدة خلقه فوقف هذا الإنسان مشدوها أمام دليل العناية الربانية في هذه المخلوقات وما انطبعت عليه فطرتها منذ نشأتها إلى عدمها، ووقف حائرا أمام هذه القدرة الإلهية ، وهذا الإبداع في مخلوقاته ، وهذا الكمال ، وهذه الدقة، وذاك التناسق، وذلك الإحكام والنظام. (ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك).

وقفات في الهجرة النبوية الشريفة

-الحلقة الثالثة-

■ إعداد الأستاذ: حسن اللويزي

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ مانوى، فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إلى امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه".
وفي رواية: "فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله"
رواه البخاري ومسلم.
سراج الساري1/52.

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار:
(فتح القدير5/54)

قال عز وجل في سورة الحشر:(9.8):
"للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولايجدون حاجة مما أوتوا، ويوثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة".

وقال في سورة التوبة/الآية: 100:
"والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار، خالدين فيها أبدا، ذلك الفوز العظيم".

ومن أسباب النزول للآيتين السابقتين التي ذكرها الشوكاني في تفسيره فتح القدير 5/200.

نزلت هاتين الآيتين في أموال الفيء، أنها عامة في كل ما أمر به النبي (ﷺ)، كأنه يقول: الفيء والغنائم لهؤلاء الفقراء المهاجرون الذين تركوا الديار والأموال والأهل والأوطان حبا لله ورسوله وقد الجأهم الكفار إلى الهجرة من أوطانهم إلى المدينة المنورة.

صفات المهاجرين والأنصار:

1. المهاجرون الذين تركوا الأهل والديار، فتركوا ذلك كله بمكة واتبعوا رسول الله (ﷺ)، وقد الجأهم كفار قريش إلى ذلك، حبا في الله ورسوله.

2 التضحية بأموالهم وأنفسهم والجهاد في سبيل الله، ابتغاء رضوانه وطاعته ومحبة في رسوله ودعوته.

3. وصف الخالق هؤلاء المهاجرين بالصدق والإخلاص والاستقامة.

4. مدح الله الأنصار باتخاذهم المدينة منزلا وسكنا وتمكن الإيمان منهم قبل كثير من المهاجرين.

5. هؤلاء يحبون إخوانهم المهاجرين حيث واسوهم بأموالهم وانزلوهم منازلهم وأشركوهم في أموالهم وأولادهم بكل محبة وسخاء وتضامن وتكافل وإيمان بالله عز وجل.

6 من خصال الأنصار تفضيل المهاجرين غيرهم على أنفسهم في المال ولو كانوا في أمس الحاجة إليه "ويوثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة".

قال صلى الله عليه وسلم حاثا هؤلاء المهاجرين و "الأنصار بالمؤاخاة "تآخوا، في الله أخوين، أخوين"الذين يتناصرون ويتعاونون على مصاعب الحياة، ويتوارثون، كما يتوارث الأخوان في النسب، ودام هذا الميراث إلى أن نزل قوله عزوجل "وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض".

فآوى كل انصاري آخا من المهاجرين وأظهر له من كرم الضيافة مايثير الإعجاب.

ومن الأمثلة الحية للمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، أن عبد الرحمان بن عوف أخى بين سعد بن الربيع الأنصاري، فقال له سعد، أي أخي أنا أكثر أهل المدينة مالا فانظر شطر مالي فخذه، وتحتي امراتان فانظر أيهما أعجب إليك حتى أطلقها، فقال له عبد الرحمن بن عوف: بارك الله لك في أهلك ومالك، دلوني على السوق فذهب واشترى وباع فربح وحسن حاله وتزوج امراة من الأنصار.

. وكان حمزة بن عبد المطلب، أسد الله وأسد رسوله صلى الله عليه وسلم وعم رسول الله (ﷺ)، وزيد بن حارثة مولى رسول الله أخوين وإليه أوصى حمزة يوم أحد حين حضره القتال إن حدث به حادث الموت قال ابن هشام 2/505: وكان أبو بكر الصديق وخارجة بن زهير أخوين وعمر بن الخطاب رضي الله عنه وعتبان بن مالك أخو بني سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج أخوين.

وعبد الله بن مسعود حليف بني زهرة، وعبد الله بن الزبير أخوين وطلحة بن عبيد الله وكعب بن مالك أخوين.

وقد آخى رسول الله (ﷺ) بين أصحابه حين تولوا بالمدينة ليذهب عنهم وحشة الغربة ويؤنسهم من مفارقة الأهل والعشيرة ويشد أزر بعضهم ببعض، فلما عز الإسلام واجتمع الشمل وذهبت الوحشة أنزل الله "وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله"، أعني في الميراث، حيث جعل من أسبابه القرابة والزواج في قوله "يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين..."

تم جعل المؤمنين كلهم إخوة في قوله: "إنما المؤمنون إخوة..."الحجرات/الآية:10

ثالثا . نتائج الهجرة النبوية الشريفة:

1. لم تكن الهجرة في جوهرها فرارا وهروبا، ولم تكن غاية في ذاتها، ولكنها كانت أمرا لامفر منه لإثبات العزة لله وحده، وكانت الهجرة أسلوبا عمليا في نشر الإسلام والدعوة إليه بعد أن فقد الأمل في مكة، حيث صيرها المشركون بيئة فاسدة لاتصلح لنشر تلك الدعوة الجديدة.

2 وهؤلاء الطغاة الذين ناصبوا الدعوة الإسلامية، العداء أبوا أن يكون الناس أحرارا فيما يد ينون به، وهذا بلا جدال حجر عملي على حرية الإنسان في عقيدته، وإكراه له على الإيمان بما يفرضه عليه السادة الطغاة.

ولأن الإسلام رسالة عالمية خالدة، جاءت لتحرر البشرية من الشرك والظلم، ولتعيد إليها كرامتها وتخلصها من الاستبداد وحكم الطغاة ليحيا الناس أحرارا أباة، وكانت الهجرة لتحقيق هذه الحرية جميعا، فلا يعلو في الأرض سلطان فوق سلطة الله عز وجل.

3. والحروب والمعارك في الإسلام جاءت لحماية هذه الحرية والتمكين لها، ولم تحمل الناس، قسرا على الإيمان "لاإكراه في الدين..." لأن العقيدة الصحيحة أساسها الاقتناع القائم على المنطق والوجدان.

4. والهجرة كانت عملا منظما، يخضع للتخطيط العلمي الدقيق، وكان هذا من عوامل نجاحها، إن قدرة الله لايعجزها أن يأوي محمد إلى فراشه ليلا في مكة لتبزغ شمس اليوم التالي وهو في المدينة دون لجوئه إلى غار ثور، ودون أن يستعين بمن يأتيه بأخبار أو يدله على طريق هجرته، ودون أن يتحمل ماتحمل من عناء السفر في طريق طويل، كله صخور ورمال وشدة الحر وتوقع الخطر، ولكن قضت حكمة الخالق أن تكون الهجرة على هذا النحو من الجهاد والتنظيم والتخطيط أوضح دليل على تأييد الله لأوليائه وعباده المؤمنين لقد ذاق محمد (ﷺ) النصر بعد مرارة الصبر والكفاح والنضال، وكان ربة قادرا على عصمته من كل إذاية.

5. إن الهجرة إلى الحبشة كانت محددة بهدف الإيواء المؤقت حتى يجعل الله فرجا ومخرجا للمؤمنين مماهم فيه من ضيق واضطهاد وإرهاب وحصار...

أما الهجرة إلى المدينة فلم يكن هدفها الإيواء المؤقت ولكن كان هدفها الانطلاق وتكوين قاعدة إسلامية ينتشر فيها الإسلام، وكانت مطلع فجر جديد للإنسانية، وكانت حدا فاصلا بين عصرين مختلفين، عصر التخلف العقائدي والفكري والإنساني، وعصر الحرية والتقدم والازدهار في مجال الإيمان واحترام الإنسان، استطاع المسلمون بعد الهجرة إلى المدينة أن يقيموا الدولة بعد توفير كل الأسباب والأسس من أرض وشعب وحكومة، وقانون، وأصبحوا لها وزنها، وتأثيرها في الجزيرة العربية، وتمكنوا بعد ثمانية أعوام أن يعودوا إلى مكة فاتحين غانمين مطهرين البيت العتيق من الأوثان والأصنام.

6. ومما يدعو للدهشة أن يقبل الأوس والخزرج لحماية دعوة ليس في بلاد العرب كلها من يعيرها أدنى اهتمام، ولكنه الإيمان إذا خالطت بشا شته القلوب، واستولى على المشاعر والضمائر، حول الضعف القوة والخوف أمنا، والفقر غنى، والذل عزا، والجهاد غاية والشهادة أمنية، فلا تقدر قوة على حربه أو الوقوف في طريقه، وهذا الإيمان الذي حول الأوس والخزرج إلى أنصاريأوون ويبذلون ويجاهدون هو الذي نزع من قلوبهم ماكان بها من أحقاد، واضغان، وجعلهم إخوة متحابين بعد أن كانوا أعداء متحاربين.

7. ترك أهل مكة وطنهم واتجهوا إلى المدينة، فهذا علي بن أبي طالب ينام في فراش رسول الله (ﷺ) وهو يعلم أن البيت محاط بفتية يحملون السيوف ليقتلوا صاحب هذا الفراش، ورضي أن يتغطى ببردة رسول الله، وأن يواجه خطر الموت فداء للرسول ودعوته.

. هذه أسماء بنت أبي بكر تتسلل إلى الغارتحمل الطعام للرسول، ولأبيها الصديق، وكانت عرضة لأشد أنواع وألوان عذاب قريش.

. وهذه أم سلمة قد جرت لهاجرتها أحداثا لا يقوى على تحملها إلا من رزقه الله الإيمان والقوة والإخلاص والجهاد. لقد وقف أهلها ضدها لتهاجر مع زوجها، وعجز زوجها عن اقناعهم في تركها، فهاجر وتركها، فصبرت حتى فرج الله كربتها فالتحقت بالزوج المهاجر، وبواسطة عثمان بن طلحة.

8. إن الهجرة كانت للمسلمين مصدر وحي، وللإيمان والصدق والحب العميق والإيثار والبطولة والتضحية الرائعة، والتنظيم العلمي الدقيق.

وقد اختار عمر بن الخطاب حادثة الهجرة مبدءا لتاريخ المسلمين، وكان ذلك جزءا من تنظيمات عمر للحكومة الإسلامية، ففي السنة الثالثة من حكومته، جمع وجوه الصحابة وقال لهم: إن الأموال كثرت، وماقسمنا منها غير مؤقت أي غير محدد بتاريخ، فكيف التوصل إلى مايضبط ذلك، فقال البعض، نؤرخ بتاريخ الروم والبعض بالفرس، وأراد أن يجعله لحادث إسلامي محض فاقترح الإمام علي يوم هاجر رسول الله(ص) من مكة إلى المدينة المنورة فوافق عمر على ذلك، فاستقر رأي القوم على رأي عثمان أن يكون أول السنة هو أول يوم من محرم بعد فراغ الناس من مناسك الحج.

9. إن هجرته (ﷺ) لم تكن بدعا من الرسل الذين هاجروا من قبل وأن كل نبي لاقى من قومه الشدائد والبلايا والمصاعب قال تعالى في سورة الحج:42 "وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود، وقوم إبراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين وكذب موسى فأمليت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير..."

10. أكد المهاجرون بما جاهدوا، وأكد الأنصار بما بذلوا وآووا تلك الحقيقة الخالدة، وهي أن الإيمان يفعل المعجزات وأنه عطاء بالنفس والجسد والمال والأهل والوطن، كما أكدت المؤاخاة بينهم على أن صلة العقيدة فوق وشائج القربى، وأن رحم الإيمان أقوى من رحم الأبدان، وأن المؤمنين جميعا أمة واحدة "واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا"ال عمران/الآية:103.

11. الهجرة الدائمة المستمرة هي هجرة السيئات والمحرمات والمعاصي إلى العقائد والخيرات والأوامر والسنن، هجرة الظلم إلى العدل والإنصاف، هجرة الكذب إلى الصدق والإخلاص والإستقامة هجرة كل مايغضب الله عز وجل إلى كل مايرضي الله ورسوله صلوات الله وسلامه عليه وعلى صحابته وآل بيته الطاهرين.

الهجرة : جهاد مستمر

■ إعداد الأستاذ : أحمد تشيكرت

■ معنى الهجرة : الهجرة مأخوذة من الهجر وهو الترك ، يقال هجر فلان فلانا ، اي تركه . وهاجر فلان إذ ترك وطنه ، والهجرة هي الخروج من أرض إلى أخرى ، وانتقال الانسان من مكان إلى آخر سعيا وراء الرزق

وفي الاصطلاح الشرعي : يقصد بالهجرة هجرة الرسول (ﷺ) من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة . وهذه انتهت بدخول الإسلام مكة مصداقا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا » صحيح البخاري ، كتاب الجهاد باب وجوب النفير»

ففي هذا الحديث إشارة إلى لون من الهجرة على الأمة أن تحرص عليه كل الحرص حتى لا تذهب قوتها ويطمع فيها أعداؤها المتربصون بها السوء يقول الإمام النووي رحمه الله في شرح الحديث السابق « إن الخير الذي انقطع بانقطاع الهجرة يمكن تحصيله بالجهاد والنية الصالحة وإذا أمركم الإمام بالخروج إلى الجهاد ونحوه من الأعمال الصالحة فاخرجوا إليه»

وفي هذا المعنى وردت أحاديث منها قوله (ﷺ) « ألا اخبركم بالمؤمن؟ من آمنه الناس على أموالهم وأنفسهم والمسلم من سلم الناس من لسانه ويده، والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله عز وجل ، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب . رواه أحمد في مسنده.

والهجرة سنة قديمة قام بها كثير من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم وكان في مقدمة من هاجر من الأنبياء سيدنا إبرهيم عليه السلام حيث هاجر من العراق إلى الشام. وهاجر سيدنا لوط مع عمه سيدنا إبراهيم « فآمن له لوط وقال إني مهاجر إلى ربي ، إنه هو العزيز الحكيم وهاجر موسى من مصر إلى سينا.

ورغب المولى سبحانه وتعالى في الهجرة وأجزل العطاء والجزاء لكل من يهاجر وجعله مع النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين في الجنة ووقفت قريش من المصطفى (ﷺ) ومن دعوته موقفا سلبيا، غير أنهم عندما رأوا نشاطه يزداد. حاربوا دعوته، فبدأوا أولا بالاستهزاء به وبدعوته وأتباعه. فواصفوه بالجنون ، وقالوا عنه انه شاعر ، واستصغروا شأنه «وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم». كما حطوا من شأن أصحابه « فقالوا من الله عليهم من بيننا» فلم يجد المصطفى (ﷺ) بدا من التفكير في الهجرة ، فقد أصبحت دعوته بمكة عديمة الجدوى.

فالهجرة إذن هي الوسيلة الوحيدة لنشر الدعوة فخرج (ﷺ) في شهر شوال من السنة العاشرة من البعثة يلتمس النصر والمنعة عند قبيلة ثقيف ولكنه وجد منهم عكس ما كان يتوقع. إذ عارضوا دعوته وآذوه واغروا به سفهاءهم فلجأ إلى التعرف على القبائل العربية في موسم الحج آملا في أن يستجيب إحدى القبائل لدعوته . ولكن القبائل أعرضت عنه، ولم يصغ له إلا أهل يثرب الذين التقى بهم صلوات الله وسلامه عليه في العام الحادي عشر من بعثته والعام الذي بعده في موسم الحج ، وعاهدوه على أن يحموه ويذوا عنه وينصروا دعوته وكان شأن الهجرة عظيما . حتى أن الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال في حقها ، وددت أن عملي كله في عمري يعدل عند الله عمل يوم واحد من أيام أبي بكر وليلة واحدة من لياليه فقال له المسلمون أي يوم وأي ليلة فقال يوم الردة وليلة الهجرة. فلولا وقفته يوم الردة لضاع الإسلام ولولا الهجرة لما انتصر الإسلام. وعنيت آيات الذكر الحكيم في مواضع كثيرة يذكر الجهاد مع الهجرة مبينة أن المجاهدين المومنين نالوا أعظم سعادة واكرم فوز في الدنيا والأخرة.

وهكذا أصبحت الهجرة في الإسلام بعد فتح مكة ذات مدلول واسع وجهاد مستمر للنفس والشيطان بصفة عامة ومن الأمثلة على ذلك مايلي:

أن يهجر الإنسان كل الموبيقات والمنكرات ، وكل مايضر بالعقل مثل الخمر والمخدرات (آفة العصر) قال الله تعالى» يأيها الذين ءامنوا. إنما الخمر والميسر والانصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون» سورة المائدة الآية 98.

2 . أن يهجر الإنسان المال الحرام. وأن يبتعد عن الكسب الحرام.، وعليه أن يسلك الطريق المشروع في جمع المال . ولذلك عاقب الإسلام الإنسان الذي يسطو على مال الغير بغير حق كالسرقة قال الله تعالى « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم» ومن أجل حماية الأموال والأنفس حارب الإسلام قطاع الطريق وسماهم المحاربين لله والرسول.. قال تعالى : إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبو أو تقطع أيديهم وارجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض . ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم » سورة المائدة الآية :33

3 . ان يهجر الإنسان كل ما يضر بعرض الغير وشبه ولذلك حرم الله الزنى والفواحش وأباح الزواج المشروع « ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا».

4 . أن يهجر الإنسان كل ما يضر بعقيدته الصحيحة . وكل ما يضر الدين الحق الذي شرعه لعباده ، ولذلك حرم الله الارتداد على المسلم الذي دخل في الإسلام طائعا مختارا . وحفظا للدين ودفاعا عنه قال النبي (ﷺ) من قتل دون دينه فهو شهيد.

5 . امر الله المسلمين أن يهجروا المعاصي بجميع أنواعها. وأن يهجروا الشرك والكفر والفسوق والعصيان والغش والكذب والنفاق والخداع وغير ذلك من الرذائل . جاء في رياض الصالحين أن رسول الله (ﷺ) قال : إن الهجرة خصلتان أحدهما أن يهجر السيئات والأخرى أن تهاجر إلى الله ورسوله، ولا تنقطع الهجرة ما تقبلت التوبة وعن جابر بن عبد الله قال « أتى النبي صلى الله عليه وسلم، رجل فقال: يارسول الله أي الهجرة أفضل ؟ قال من هجر ما كره الله عز وجل ».

فالهجرة دائمة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهي حركة دائمة للأفراد والجماعات للتحول من السيء إلى الحسن ومن الضعف إلى القوة ، أخرج الشيخان عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ماهاجر إليه».

فرع رابطة علماء المغرب بالناظور تودع أحد مؤسسيها وأعضائها البارزين

ودعت مدينة الناظور في محفل رهيب، ومأتم حزين مؤثر، أحد علمائها الذين كان لهم الفضل في تنوير المنطقة بعلمه وإرشاده ووعظه، إنه الفقيه العلامة الأستاذ: عبد الله الصقلي رحمه الله، أحد مؤسسي رابطة علماء المغرب بالناظور، وأبرز أعضائها العاملين. وافاه الأجل المحتوم في منزله بالناظور بعد مرض لم يمهله طويلا، ليلة الجمعة6محرم1425هـ، الموافق ل:27فبراير 2004م.

وقد شيعت جنازته من مسجد الحسن الثاني الذي كان يرتاده في جميع أوقات الصلاة، بعد أن صلى عليه جمع غفير من أقاربه وأصدقائه وتلامذته وأعضاء من رابطة علماء المغرب. فرع الناظور. بعد صلاة الجمعة، مباشرة بعد صلاة الغائب التي أقيمت على أرواح شهداء الزلزال الذي ضرب منطقة الحسيمة.

وأبنه في خطبة الجمعة رئيس فرع الرابطة بالناظور السيد ميمون بريسول خطيب المسجد وأحد تلامذة الفقيد رحمه الله، وقد جاء في تأبينه:

شاء الله أن تتزامن كارثة الحسيمة التي حلت ببلدنا العزيز مع مصيبة أخرى تركت وقعا أليما على نفوس سكان هذه المنطقة خاصة، تلك هي مصيبة موت فقيهنا وعالمنا وشيخنا الأستاذ/عبد الله الصقلي رحمه الله.

إننا نودع اليوم عالما أنفق عمره في التعليم والإرشاد، والوعظ والبحث. فنشهد له بأيادي بيضاء تركها على المساجد والمحاريب والمنابر والكراسي العلمية والمدارس القرآنية والتربية والتعليم، إنه من مؤسسي رابطة علماء المغرب والمجلس العلمي بالإقليم، درس، وعلم، ووعظ، وخطب، وبحث وكتب. فمنه تعلمنا أبجدية بعض الفنون الدقيقة التي لم يكن لها أهل وقتئذ ولا متخصصون تغيير ومنه تعلمنا أبجدية البحث والكتابة والخطابة. حقيقة إن موت العلماء ثلمة في بنيان الإسلام، وان أكبر مصيبة بعد مصيبة موت رسول الله صلى الله عليه وسلم هي موت العلماء لأنهم ورثة الأنبياء.

رحمه الله وأسكنه فسيح جناته، وعزاؤنا واحد في فقدانه، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

تأملات وخواطر

■ الأستاذ: محمد الخضر الريسوني

المنزلق الخطير للعالم الغربي ونكسة الشرعية الدولية

■ يعيش عالمنا الإسلامي في خضم التحديات والمشاكل المتعددة التي تتفاوت في درجة خطورتها على الحياة الإنسانية ومجتمعاتها بين بلد وآخر ومنطقة وغيرها ، وقد اختفت البسمة عن شفاه ملايين الأطفال والثكالى والمحتاجين في فلسطين والعراق والشيشان وأصبح جدار العار والعنصرية الذي بناه الصهاينة في فلسطين دليلا على القهر وانعدام الأمن والسلام بين دول العالم ، وبالرغم من شروع محكمة العدل الدولية بلاهاي بمبادرة الأمم المتحدة في دراسة جريمة إقامة الجدار ، فإن أصواتا بدأت ترتفع هناك وهناك تساند وتشجع ما أقدمت عليه إسرائيل ، باعتبار أن ذلك حق للدفاع عن النفس وضدا على الشرعية الدولية وأعلنت الحرب على العراق وشروع المحتلين في قتل علمائه ومفكريه بعد أن كذبوا على شعوبهم بأنه يمتلك أسلحة الدمار الشامل، وهبت الرياح العاصفة ، فهنا حرب طائفية ، وهناك صراع عرقي ، وهنالك تمييز عنصري والكل يئن تحت وطأة المطحنة اليومية.

وفي مثل هذه الأجواء الملبدة يبحث الجميع عن ركن يأوون إليه ، ومخرج يدلجون منه وانقسمت الدنيا إلى محاور وتكتلات تسعى لتحقيق أعلى نسبة من المكاسب مقابل أقل كمية من البذل والتكاليف ، وما حرب العراق القذرة إلا صورة أخرى للطمع والتهافت على البترول من طرف الشركات الكبرى في العالم ، وليمت الجنود ، وليسقط الضحايا من أجل ملئ جيوب المحتكرين بالمال الوافر وعادت سنة التدافع لتلعب الدور الرئيس على الساحة الدولية ، وتراوح في أماكننا بين الشمال " القادر " والجنوب" المصابر وبين " الصناعيين" ذوي الإمكانات، وبين الأيدي العاملة الباحثة عن لقمة العيش مغموسة بالغربة والعرق والسهر والمعاناة.

أمام هذا المنزلق الخطير الذي ينحدر إليه العالم الرأسمالي يقف الإسلام وحده معلنا بأن الانتماء العرقي أو القومي أو الحزبي أو حتى الديني لا مكان له بين قيمه الخالدة فالناس في الإسلام يختلفون في عقائدهم وأجرهم على الله، وهم سواسية في الحقوق العامة والواجبات تجاه أنفسهم وتجاه المجتمع مهما اختلفت ألوانهم وأديانهم فرعايا الدولة المسلمة يحظون بنفس الاهتمام ، ويصلهم حقوقهم ، ولا ننسى وقائع عهد النبوة والخلافة الراشدة ومن تبعهم بإحسان عن الاقتصاص لليهودي والنصراني المهضوم الحق من الظالم ولو كان مسلما.

فقد شيد الاسلام الشخصية الانسانية السوية أولا ، وهيأ المسلم ليكون على مستوى الرسالة الإلهية التي يحملها ويتصدى لنشرها بين الناس ، ولم يرض الاسلام لأتباعه في أوج قوتهم وصعود نجمهم وامتداد ملكهم ليغطي بقاع الأرض طولا وعرضا أن يكونوا جبارين في الأرض يمشون بطراو أشرا وإنما أرادهم أن يدركوا قيمة المسؤولية فيرتقوا إلى المعاني والصفات الراقية التي سمى الله تعالى بها نفسه من الرحمة والكرم والعدل ليكون المجتمع المسلم مجتمع العدالة، فيحقق للإنسان توازنا لا مثيل له بين الروح والجسد ، والعقل والعاطفة والفردية والجماعية، والعفو والقصاص ، فلا يطغى جانب على آخر ، ولا يتجاوز أحد حده الذي ينبغي أن يقف عنده.

الاسلام يأمر بتكوين مجتمع إنساني راسخ بعيد عن فوضى السلوك وانحراف الأخلاق وهبوط القيم ، وبنى تشريعه بطريقة فذة مدعاة للفخر مهذبا كل النوازع والشهوات ومنميا كل القابليات والطاقات الكامنة في الإنسان.

تعقيب على تخطيئ الإمام الطرطوشي

الحلقة الاولى

■ إعداد الأستاذ: مراد الخروبي

■ قرأت في عدد 1056 من ميثاق الرابطة ردا للأستاذ عبد القادرالعافية حول مقال الذي يحمل عنوان " نظرات في كتاب سراج الملوك لمحمد بن الوليد الطرطوشي".

وقد ارتأيت التعقيب على ذلك لإثراء النقاش حول هذه القضية الهامة كما يلي:

مدخل:

لقد بذل الأستاذ عبد القادر العافية مشكورا جهدا في البحث عن المصادر التي ترجمت للإمام الطرطوشي ، وذكرت أخباره، وأثنت عليه الثناء الحسن ويبدو أنه من المعجبين وأنا أشكر الأستاذ على ما ساقه من مصادر وأخبار حول هذا العالم الجليل لما في ذلك من فائدة تعود على القارئ كما اصرح بأنني أشاطره تقديري وإعجابي بالإمام الطرطوشي الذي أقر بمكانته العلمية التي لا ينكرها أحد ، والدليل على ذلك ما قلته في مقالي عن كتابه" سراج الملوك" بكونه (يعد هذا السفر الثمين من بين الثرات النادر الذي يحق للمكتبة العربية الاعتزاز به، والمحافظة عليه، واعتماده كمرجع أساسي لكثير من الأمور).

وقلت عنه كذلك بمناسبة الحديث عن سهوه وعدم دقته أحيانا في ضبط بعض المصادر التي يأخذ عنها بأن ذلك (مما لا يقدح كثيرا في قيمة كتابه من الناحية العلمية ...) وقد نوهت مرة أخرى بكتابه في نهاية البحث عندما قلت (بأن كتاب الطرطوشي رغم ما اكتنفه من بعض المزالق التي قلما يسلم منها أحد ، فهو مع ذلك سيظل كتابا قيما له وزنه العلمي في مجال الآداب السلطانية بما أتى به من أفكار وآراء، وما بذله من مجهودات جبارة في سبيل تعبيد الطريق لمن أتى بعده والعصمة ليست سوى لكتاب الله وحده...) وقد وافقني الأستاذ عبد القادر العافية في حديثه عن مسألة العصمة في نهاية رده على مقالي الذي أتولى مناقشته الآن بقوله (وليس هناك أحد معصوم من الخطأ والعصمة لله وحده، ولرسوله فيما أمر بتبليغه..) فنحن لحد الآن لا نختلف حول المكانة العلمية للفقيه الطرطوشي ولا حول قيمة كتابه ، وما يحتله من درجة رفيعة في مجال الآداب السلطانية، وعليه فإن خلافنا ينصب بالخصوص حول ما أورده الطرطوشي في كتابه من آراء فقهية ، وهي ما دفعت الأستاذ عبد القادر العافية ليرد على مقالي ودفعني بالتالي لأعقب على رده كالآتي :

تمهيد:

إن الإعجاب بشخصية أديب أو فقيه لا تمنع بتاتا من مناقشة أفكاره، وذلك أن أفكار أي فقيه أو أديب لا يمكن أن تكتسب قدسية تمنع أحدا من إعادة طرحها على بساط النقاش لأجل التشريح والبحث العلمي إذا ما استدعى الأمر ذلك.

وقد سبق لي أن سقت في خاتمة مقالي قولة الإمام مالك الشهيرة (كل كلام يؤخذ عليه ويرد إلا كلام صاحب هذا القبر وأشار إلى قبر الرسول صلى الله عليه وسلم).

وقوله كذلك (إنما أنا بشر أخطئ وأصيب فانظروا في رأيي فما وافق السنة فخذوا به).

رد على بعض ما أورده الأستاذ عبد القادر العافية بخصوص الفقيه الطرطوشي:

الرد على اعتبار تهجد الفقيه الطرطوشي بالليل قرينة على حفظه للقرآن الكريم » مما جاء في رد الأستاذ عبد القادر العافية قوله:« ... وهذا يدل على أن الشيخ الطرطوشي كان يحفظ القرآن الكريم ويتهجد به ليلا».

نقول بأن ما ساقه الأستاذ عبد القادر العافية من كون الفقيه الطرطوشي كان يتهجد في الليل والناس نيام، لا يمكن أن يقوم كدليل قاطع على حفظه للقرآن الكريم بكامله.

إذ هناك من يتهجد ولا يحفظ إلا بعض السور القصيرة وبعض الآيات المتفرقة يصلي بها في الليل .. وقد يحفظ حزبا أو حزبين ويكفيه ذلك في تهجده ، والتهجد على كل حال ليس دليلا على حفظ ستين حزبا كاملة...

ب. الرد على نفي الخطأ عن الطرطوشي:

الخطأ مسألة إنسانية قبل كل شيء وهي ليست عيبا لأن العيب هو التمادي في الخطأ نفسه أو عدم قبول تقويمه وتصحيحه.

وتقويم الخطأ أو تصحيحه يمكن أن يدرج في باب النصيحة . وكلانا يتذكر الحديث الشريف القائل " الدين النصيحة، قلنا لمن يارسول الله ، قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم " وبدون الإطالة في هذا الموضوع نقول : لقد ثبت عبر التاريخ الإسلامي أنه كثيرا ما وقع السهو في مواضع الدين كالصلاة ولذلك وجد سجود السهو وقد ثبت كذلك أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم: عندما انتقل إلى الرفيق الأعلى أنكر بعض الصحابة خبر موته عليه السلام وأوشكت الفتنة أن تقع بين المسلمين فيما بينهم فخرج عليهم أبو بكر . رضي الله عنه . وتلى عليهم قوله تعالى (وما محمد إلا رسولا قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم .." ففاجأت تلك الآية بعض الصحابة حتى لكأنهم يسمعونها لأول مرة.

ثم هناك واقعة أخرى شهيرة وتتلخص في كون عمر بن الخطاب أراد ذات مرة أن يحدد مقدار المهور لما رآه من مغالاة الناس في صداق بناتهم فجأته امرأة من مؤخرة المسجد تتلو قوله تعالى:« وإذا آتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا) فما كان من عمر رضي الله عنه إلا أن قال قولته المشهورة:« أصابت المرأة وأخطأ عمر » وهذا يبين لنا على أن الصحابة أنفسهم قد يقعون في بعض الأخطاء فإذا ذكروا بأخطائهم اعترفوا وأذعنوا للحق دون مكابرة أو عناد.

امتثالا لقوله تعالى:« وإذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا...»

وهذا الذي سقناه كمثال قد يكون فيه رد كاف على ما أورده الأستاذ عبد القادر العافية بشأن ما ذهب إليه بعض كبار الفقهاء من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين من الاعتقاد بكون إسحاق هو الإبن الذبيح ذلك أن الخطأ يمكن أن يسري عليهم مثل سائر الناس ما دامت العصمة غير متوفرة في حقهم وقد رأينا نماذج من تلك الأخطاء فيما سقناه في هذه العجالة فإذا كان الأمر كذلك فلماذا أراد الأستاذ عبد القادر العافية من خلال ما يستشف من رده على مقالي أن يستثني الفقيه الطرطوشي من الوقوع في بعض المزالق خصوصا وأن هناك دلائل قاطعة على بعض أخطائه وهي مع ذلك وكما قلنا لا تقدح في قيمة كتابه إذ الخطأ يصحح وتبقى للكتاب قيمته العلمية كما أشرنا إلى ذلك في مقالنا.

الرد على ما يتعلق بحفظ الطرطوشي للقرآن الكريم :

وللرد على ما أثاره الأستاذ المذكور من تساءل بشأن حفظ القرآن من طرف الطرطوشي وكذا بقية الفقهاء الأولين بما فيهم الصحابة الكرام.

أقول هل كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يحفظ القرآن حينما فاجأته المرأة بتلك الآية الكريمة.

« وإذا آتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا » فما كان من عمر (رضي الله عنه) إلا أن أقر بصواب المرأة مقابل الاعتراف بخطئه.. نحن لا نقول بكونه كان لا يحفظ القرآن ولكن نقول فقط، بأنه قد تغيب أحيانا، بعض الآيات عن الذهن فبالأحرى مضامينها وهذا هو بالضبط ما يمكن أن يفضي إلى الخطأ العلمي .. وهو ما يحتمل أن يقع فيه كبار الفقهاء أنفسهم بما فيهم الفقيه الطرطوشي رحمه الله .

عدم مناقشة الأستاذ عبد القادر العافية لمناسبة سرد الآية الكريمة الواردة في قوله تعالى " فبشرناه بغلام حليم".

سبق لي أن أشرت إلى أن الفقيه الطرطوشي اخطأ بخصوص مناسبة سرد هذه الآية ، ذلك أن الفقيه اعتبر أن هذه الآية وردت بشأن الثناء على الغلام بعد الفراغ من محاولة ذبحه حيث قال بالحرف الواحد :" وأمر على حلقه السكين فلم يقل إلا خيرا فقال الله" فبشرناه بغلام حليم" وقد بينت أن العكس هو الصحيح ذلك أن الثناء على الغلام بكونه حليم سبق محاولة الإقدام على ذبحه والقصد من ذلك هو بيان خلق الغلام وبره بأبيه واستعداده لطاعة أمر خالقه..." الخ.

وقد فوجئت بسكوت الأستاذ المحترم عن إثارة هذه المسألة والرد على ما قلته بشأنها .

لماذا اختار الأستاذ عبد القادر العافية موقفا سلبيا بهذا الصدد؟ لا يخلو الأمر من أحد الاحتمالين التاليين.

الاحتمال الأول: إما أنه يوافق على ما اشرت إليه من خطأ الطرطوشي وبالتالي يزكي ما ذهبت إليه عن طريق سكوته الذي اعتبره هنا إقرارا ضمنيا بما صرحت به من خطأ صدر عن هذا الفقيه.

الاحتمال الثاني:

وإما أنه يعارضني فيما ذهبت إليه، وفي هذه الحالة أتساءل كذلك لماذا لم يصرح الأستاذ الفاضل في رده بكونه لا يوافق على ما قلت ، ويأتي بالتالي بالحجة الدامغة التي تدحض رأيي بخصوص مناسبة سرد هذه الآية التي خالفت فيها الفقيه الطرطوشي صراحة وقلت بأنها جاءت من حيث الترتيب قبل الإقدام على محاولة الذبح وعللت القصد من ذلك الذي يتمثل في بيان خلق الغلام وبره بأبيه واستعداده لطاعة أمر خالقه حسب ما هو مساير للقرآن الكريم ... وهو ما يقابل عكس ما زعمه الطرطوشي من كون الآية الكريمة جاءت بعد نجاة الغلام من محاولة الذبح . وعلى كل حال تمنيت لو أشار الأستاذ المحترم إلى هذه المسألة وخالفني فيها حتى تتاح لي الفرصة حينئذ للرد على ذلك ولكنه اختار السكوت، وأشكره على كل حال.

خطاب المعروف والمنكر في القرآن الكريم

سورتا البقرة وآل عمران نموذجا

■ إعداد الأستاذ: عبد الإله الإسماعيلي/ مكناس

القرآن الكريم كتاب هداية وتربية وتوجيه، ومنبع رحمة وتثبيت . قدم للبشرية الصراط المستقيم كي تفيئ إليه، وأوضح لها طيلة أربعة عشر قرنا طريقتين اثنتين:

أما الطريقة الأولى فهي الفوز برضوان الله ونعمه السابغة في الدنيا والآخرة ، وهي طريق الحق والنور، طريق اتباع المعروف لنفسك ولغيرك.

بينما الطريقة الثانية فهي طريق الكفر والذل والهوان والباطل ، طريق الضلال ، طريق اتباع المنكر لنفسك ولغيرك.

وبين الطريقتين صراع دائم ، غايته هداية البشرية وترغيبها في اتباع سبيل ربها ، حتى لا يتناوشها الذل والهوان في الأرض.

فأمة الإسلام هي التي تتبع طريق الحق ، لأنها لا تحتاج إلى امعان نظر في القرآن الكريم كي تطمئن إلى الحق . بل أن المشيئة الربانية والقدرة الإلاهية الخارقة توضح بالمنطق والبرهان دون سجال:" سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق " سورة فصلت / الاية: 53. فيدرك سليم الحس مستجاش الوجدان أن الله إلاه واحد لا شريك له ، علينا اتباعه فيما يأمر به وينهى عنه. والأمر والنهي في القرآن كثير جدا : نهانا الله عن أشياء كثيرة وأمرنا سبحانه بأشياء كثيرة . ولكن أروع أمر وأهدى نهي هو للمؤمنين الصالحين الذين لا تأخذهم في الحق لومة لائم ، ولا يحفلون لأي ردع أو زجر أو شتيمة ، هدفهم اداء واجبهم نحو ربهم أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر في حدود ما أمرهم به الله ونهاهم عنه، وهذه قمة المشاعر الإيمانية لخيرية هذه الأمة الإسلامية :" كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتومنون بالله، سورة آل عمران / الاية:110.

فما هو هذا المعروف والمنكر؟ وما هي قيمة توجيه الخطاب الرباني الحامل لآيات المعروف والمنكر؟

عرف ابن فارس في مقاييس اللغة مادة(عرف) بقوله:

العين والراء والفاء أصلان صحيحان ، يدل أحدهما على تتابع الشيء متصلا بعضه ببعض.والأخر على السكون والطمأنينة.

ومادة(نكر) : النون والكاف والراء أصل يدل على خلاف المعرفة التي يسكن إليها القلب.

وهذه بطبيعة الحال تدخل تحت دائرة الإسلام :" كل آية في القرآن في الأمر بالمعروف فهو الإسلام ، والنهي عن المنكر فهو عبادة الأوثان. إلا أن ابن عباس رضي الله عنه رأى رايا اخر في المعروف فقال هو الرسول، والمنكر عبادة الأصنام . إلا ان بعضهم وأظنه أبا العالية فسر المعروف بالتوحيد والمنكر بالشرك أو الكفر" ولا شك أن التوحيد رأس المعروف والكفر رأس المنكر.

ضبط وإحصاء:

ولعل تحديد معاني هذه الثنائية : معروف . منكر من شأنه أن يموضعنا الموضع الصحيح من خلال مقابلاتنا لها انطلاقا من سورة البقرة وآل عمران ، اعتبارا أن قسطاط القرآن تقتصر فقط على مادة (معروف) ، حيث وردت أربعة عشر مرة ، تدل على مفاهيم مختلفة : كالعفو، والوصية، والطلاق، والإمساك، والإشهاد والقول الحسن، وغيرها. ونذكر في هذا الصدد أن مادة (نكر) لم ترد في هذه السورة على طولها ولو مرة واحدة سواء منفردة أو مجتمعة مع ضدها . وهذا له دلالة قوية كون السور المدنية في مجملها تعد خطابا للمومنين الذين قطعوا أشواطا عديدة في تعرفهم على دينهم ، فلا يحتاجون لذكر المنكر منفردا بقدر ما هم في حاجة إلى ضبط أحكام دينهم وعقيدتهم.

ولم تر لفظة (المنكر) النور إلا وهي مجتمعة مع (المعروف) في الآية 104 من سورة " آل عمران " عند قوله تعالى :" ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون " ، حيث وردت هذه المفردة (المنكر) في مواضع ثلاثة هي على التوالي كما يلي:

" تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتومنون بالله" سورة آل عمران / الآية110.

" يومنون بالله واليوم الآخر ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين " سورة آل عمران / الآية 114. اضافة إلى الآية (104) المذكورة أعلاه.

يتحدد في هذا السياق صفات الأمة الإسلامية من استقامة وتهجد وإيمان بالله واليوم الآخر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وغيرها ، وهو سياق قصير لا يتجاوز عشر آيات مقارنة مع سنام القرآن الكريم التي تضمنت سبع عشرة آية ؛ من الآية (172 إلى الآية 263) وهي مدرجة على النحو التالي : الآيتان 178و 180 متقاربتين مقارنة مع الآيات الأخرى التي جاءت بعدها ، حيث لا نجد ذكرا للمعروف إلا وصولا للاية 228 التي تدشن بداية تسلسل منتظم لآيات المعروف حتى حدود الآية 241 حيث توقفت اللفظة عن الذكر إلى الآية 263 التي تعد آخر آية في المعروف وهي قوله تعالى:" قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى".

مقابلة وتحليل:

ان مفهوم المقابلة هنا ليس من أجل وضع تقابل بين المفهومين معروف ومنكر ، بقدر ماهو وضع اليد على حقيقة صور الخطاب القرآني الموظف فيها مادة معروف كما في البقرة ، أو مادتا معروف. منكر كما في آل عمران ، وهذا من شأنه أن يطلعنا على أسرار هذا التوظيف والغاية منه والمعاني التي يشير إليها في رسم خطاب أقل ما نقول عنه أنه خطاب رباني ذو أبعاد عميقة ودلالات لا حصر لها ، يبقى معها دائما وأبدا مزيدا لكل مستزيد.

فإذا ما تتبعنا الخطاب القرآني لآيات المعروف في سورة البقرة ، نجد أنها عبارة عن خزان معرفي يضم ثلاثة مواضيع هي:

أ . العفو بعد استحقاق الدم.

ب. الانفاق على الوالدين والأقربين بفرض وصية لهم احسانا لهم وجبرا لخاطرهم وبرا بهم ، ونصرا لهم.

ت. في أحوال بناء الأسرة التي لا تتم إلا بطرفين : الرجل والمرأة ، فكيف تكون العشرة في الزواج ، وكيف تنتهي ، إذا أراد الله ذلك، وما هي الضوابط الشرعية والأخلاقية التي ينبغي أن يتم فيها هذا التسريح، وما هي تبعات ذلك؟

أما سورة آل عمران ، فلعل أبرز خطاب فيها ضم المعروف والمنكر على السواء كان لخيرة هذه الأمة الإسلامية، محددا الصفات العالية التي على المؤمنين أن يتسموا بها، وفي هذا أمان للمؤمنين وكنز لهم . أما كون سورة آل عمران ضمت حسب الترتيب التعبدي للقرآن الكريم مفهوما جديدا لم تقف عليه البقرة هو (المنكر) ، فلأن سورة آل عمران كما جاء على لسان مقاتل : نزلت في اليهود المبغضين لعيسى ، القاذفين لأمه ، المنكرين لما أنزل الله عليه من الإنجيل وهي سورة فيها محاجة واستغفار.

من هنا ندرك على مستوى التصور الظاهري تكاملية في الموضوع ؛ حيث تتحدث البقرة في سياق آيات المعروف عن اتباع نهج تربوي وأخلاقي رفيع المستوى مع :

أ. قاتل النفس :

ب. مع الوالدين والأقربين :

ج. مع الزوجة والأطفال (من إشهاد ، وحسن العشرة والنفقة، الخ...)

كما أن سورة آل عمران تتحدث عن صفات البر والخير والتقوى ، عن البناء الروحي والاستعداد القوي في الليل لمواجهة كل الفتن ، والتصدي لها في النهار بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عن طريق التهجد، وهو سلاح المؤمن الضارب في الأرض ، والذي يعبر عن قوته وعدم تنكره لدينه كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في بداية دعوته حينما أمره الحق سبحانه بالاستعداد الروحي لخوض معركة امتصاص الاذاية التي كان الكفار يخططون لها في كل لحظة ، وطريقة مواجهتها ، والتي لا تأتي الحكمة التي أرادها الله سبحانه وتعالى لرسوله إلا بهذا الاستعداد ، حيث أنه صلى الله عليه وسلم حينما نزل قوله تعالى « يأيها المزمل قم الليل إلا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا » سورة المزمل / الآية 1 قام الليل مع ثلة من أصحابه لمدة سنة حتى تورمت قدماه صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه من شدة القيام.

هكذا كان الإعداد ، وبهذا النهج التربوي المتألق استطاع مواجهة المنكرين والطغاة، وهو سلاح لا تستطيع أحدث الأسلحة أن تقومه ، ولا خيار للمؤمن الحق عن نهجه واتباعه إذا أراد تطبيق شريعة الله في الأرض وتطهيرها من كل نهج مستحدث غير إسلامي وإبعاده عن المألوف كما دعا الله تعالى المؤمنين في سورة آل عمران.

ويمكن : بعد هذا وضع الرسم التفريعي التالي:

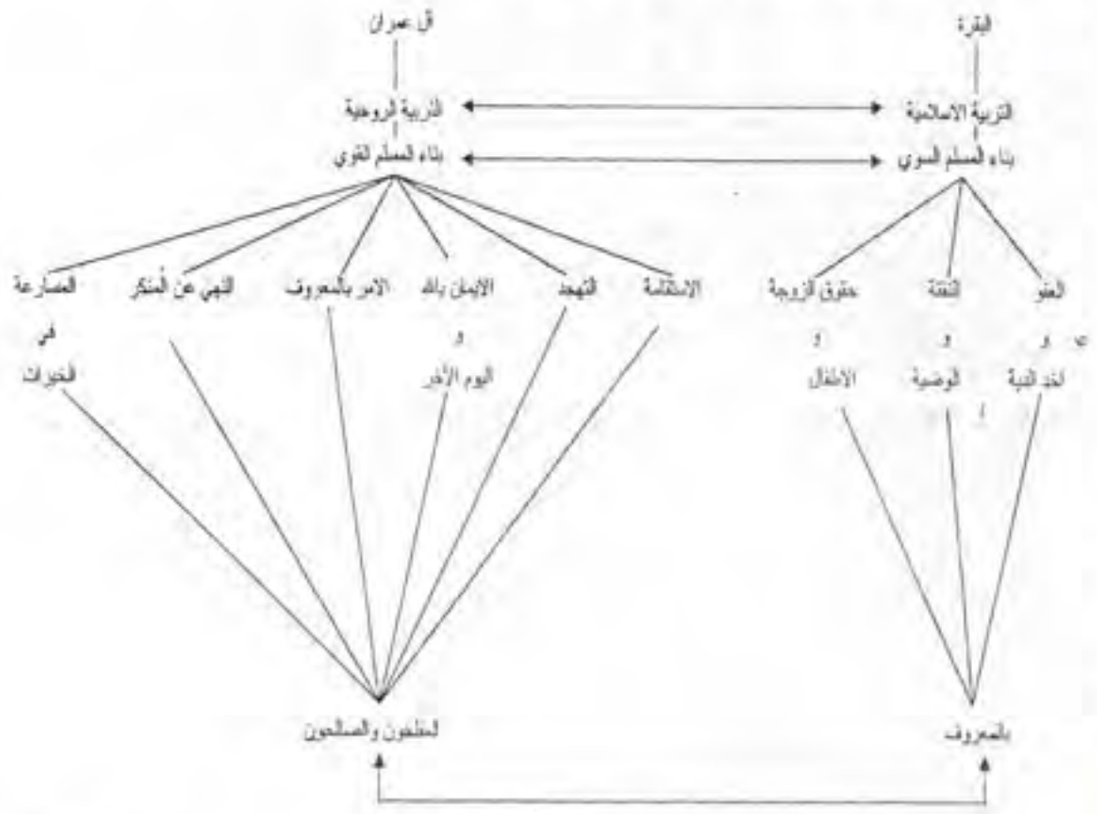

(يتبع ص:11)

فرع رابطة علماء المغرب بالناظور ينظم نشاطا خيريا ومساعدات إنسانية تضامنا مع منكوبي الزلزال بإقليم الحسيمة

■ بمجرد أن علمت رابطة المغرب بالناظور بالنكبة الأليمة التي حلت بإخواننا بإقليم الحسيمة من جراء الزلزال الذي ضرب المنطقة ليلة الثلاثاء 04 محرم 1425 هـ الموافق : 24فبراير 2004م أعلنت عن اجتماع طارئ حضره جميع أعضاؤها وأخذوا على عاتقهم بذل الوسع لتقديم جميع ما يمكن تقديمه من عون ومساعدة وإغاثة.

وأبدى فرع الرابطة بالناظور الاستعداد الكامل والفعال للانخراط في هذا العمل التضامني لأن ما يربطنا بساكنة الحسيمة من أخوة إيمانية وما لهم علينا من حق الجوار والمواطنة يستدعي النهوض دون كلل ولا كسل ولا فتور وإعلان النصرة الحقة والإغاثة الحقيقية.

وجاءت التعليمات الملكية السامية والتوجيهات المولوية الكريمة، وكذا البيان الذي أصدرته الأمانة العامة لرابطة العلماء في شأن التضامن مع منكوبي الزلزال لتحفز علماء الرابطة بالناظور وتكون لهم النبراس المضيء في شق الدرب نحو هذا العمل الديني والاجتماعي الفريد:

وفيما يلي جرد لأهم الأعمال التي قام بها فرع رابطة علماء الناظور:

1 . تأسيس لجنة لمتابعة مستجدات الحادث، تنسق مع بعض الأئمة والخطباء ولجان المساجد بمدينة مليلية والناظور وضواحيها، تشتغل هذه اللجنة باستمرار ويتعاون مع بعض فعاليات وجمعيات من المجتمع المدني.

2 . حثت الرابطة جميع أعضائها للتجاوب مع الحادث بما يليق وباستعمال كل الوسائل الممكنة لإيصال الإعانات إلى المنكوبين.

3 . حث خطبائها وأئمتها على تناول موضوع التضامن والتكافل مؤيدا بشواهد من القرآن والسنة وأقوال العلماء وسيرهم خاصة في خطبة الجمعة ليوم 07 محرم 1425هـ الموافق :27 فبراير 2004م والدعاء مع شهداء الزلزال والاستغفار لهم مع الاستجابة الملكية في إقامة صلاة الغائب.

4 . تنظيم دروس مكثفة لتحسيس المجتمع المدني بما هو واجب عليه تجاه المنكوبين وحثهم على الإنفاق والتصدق و التبرع.

5 . زيارة كثير من أعضاء الرابطة مصحوبين بإعانات ومساعدات إلى عين المكان بإقليم الحسيمة، متفقدين أحوال المنكوبين ومواسين لهم، وحثهم على الصبر والثبات أمام هذا الابتلاء الإلهي.

6 استمرار الحملة إلى أجل غير مسمى حتى يعافى المصابون . إن شاء الله .

وأما عن الإعانات التي قدمتها الرابطة إلى حدود تاريخ 16 محرم 1425هـ الموافق لـ :08 فبراير 2004والتي هي عبارة عن حمولات متنوعة من الأغذية والألبسة والأغطية ومختلف الحاجيات الأخرى، فهي كالتالي:

الكمية والنوع	تاريخ الخروج	مكان التوزيع
– 4000 خبزة	الخميس 26-02-2004	
– أزيد من 1000 قطعة لباس	الجمعة 27-02-2004	
– أزيد من 50 من الأغطية .	" " "	إقليم الحسيمة :
– أزيد من 100 " هيدورة "	" " "	
– 1100 لتر حليب من نوع " بلهم "	السبت 28-02-2004	مختلف الدواوير منها :
– 300 قطعة أثواب	" "	– دوار ازغزافن
– 390 علبة فرماج	" "	– " امراسن
– 70 لتر زيت الزيتون	" "	– " تانوت
– 20 قنديل	" "	– " آيت سعيد
– 30 كلغ أرز	" "	– " أفتو ازيمور
– 220 كلغ سكر	" "	– " آيت عبد العزيز
– 05 كلغ زبدة	" "	– " أحدوشن
– 150 لتر زيت البادية	" "	– " تماسنت
– 06 صناديق طماطم	" "	– " آيت داود
– 02 الماس نهد 72	" "	– " تزغين
– 6300 خبزة	" "	
– 22 أغطية جديدة	" "	
– أفرشة وأغطية متنوعة	" "	
– لباس متنوع	" "	
– 20 قنينة غاز صغيرة	" "	
– 2500 لتر زيت الزيتون	الاثنين 01-03-2004	
– 2960 لتر حليب	" "	
– 314 فراش (سبونج)	" "	
– 4000 لتر زيت البادية	" "	
– 2000 علبة فرماج	" "	
– 4000 علبة سكر	" "	
– 2000 علبة شاي	" "	
– 4000 علبة سردين	" "	
– ألبسة مختلفة	" "	
– 60 أغطية مختلفة	" "	
– أزيد من 2000 قطعة لباس مختلفة	" "	
– 20 فراش (سبونج)	الاثنين 08-03-2004	
– 500 من الأغطية جديدة	" "	
– 500 فراش (سبونج) جديدة		
– 120 من الأغطية صغيرة جديدة		
مجموع قيمة هذه المساعدات هو حوالي : 410350-00 درهم		

(تتمة ص: 10)

■ وبقراءتنا لهذه الخطاطة نسجل الآتي:

1 . تقدم الآيات المعروف في سورة البقرة نموذجا لبناء المسلم السوي الذي نهل من التربية الإسلامية ما جعله يلبس لباس التقوى في كل المعاملات سواء مع:

أ . قاتل انفس التي حرم الله إلا بالحق.

ب . أو مع النفقة كما أوصى بها الله تعالى للوالدين والأقربين.

ت . أو مع الامتثال لما أمره به الله تعالى من حقوق نحو الزوجة والأطفال .

ولباس التقوى المذكور هو تطبيق لخطاب الله عز وجل الذي حث على (المعروف) في كل ذلك ، وهي حلة لا يلبسها إلا المتقون الأبرار . و(المعروف) لفظ متغير غير ثابت ، وبهذا جاء على اسم المفعول ، لأنه يتلون فعله من شخص لآخر ." فاتباع المعروف " في الآية (178) من سورة البقرة قد يكون عفوا عند البعض ، وقد يكون عفوا مع أخذ الدية عند البعض الآخر. كما أن" الكسوة بالمعروف " في الآية 233 من السورة نفسها بالنسبة للولد تختلف من أب لأب . فقد يغدق الأب الأول، في الكسوة ويختار الجديد الرفيع، وقد يقدم الأب الثاني كسوة عادية تطبيقا لشرع الله لا يزيد شيئا ، كما أن قول المعروف " في الآيتين (235) و(263) ، الأولى بالنسبة لخطبة النساء والثانية بالنسبة للمتصدقين الذين لا يتبعون صدقاتهم بالمن والأذى ، يختلف حسب درجات الوعي وحسب مستوى الخطاب الموجه ووفق آيات السياق المتحكمة فيهما معا ، ... الخ .

2 . من الملاحظ أن الخط الآيي الرابط بين آية العفو رقم (178) وآية التصدق رقم (263) ، يعيش في كل المواضيع التي يطرحها التذكير بسلاح من يريد مباشرة أوامر الله وتطبيقها على النحو الأكمل ألا وهو سلاح " التقوى"

3 . من أجل تثبيت التربية الاسلامية وجعلها منارا يقتدى به وقوة ضاربة في الأرض لا يعزف عنها عازف ولا يزيغ عنها متهيج بأفكار الدنيا ، فلا محيص من نهج تربية روحية تتقوى من خلالها القوى الداخلية، والتي تتصدى لكل الآثام، ولكل ترسبات الشر التي غرست أنيابها في القلب فتدفع كل ذلك عبر بناء أسس الخير والتقوى ، فيتم التعويض ، تعويض الشر بالخير ، فتنقضي عجائب ما كان يؤول إليه التفكير قبل التعويض ، فيهدأ البال وتسود الطمأنينة ، فتبدأ أعمال البر، فيتوحد الفلاح والصلاح والمعروف في الأمة.

4 . كما أن خطاب المعروف والمنكر المسجل لأول مرة في سورة آل عمران وبالضبط في الآية (104) مثلما تقدم ، لم يكن خطابا عاديا لكونه:

أ . يساق لأول مرة بعد البقرة.

ب . يساق للأمة الاسلامية عامة ولخيرتها خاصة،

ج . يساق لدعاة الفلاح والصلاح من هذه الأمة كي يمتثلوا لأمر الله ونهيه بعد ما كان الخطاب يسير في اتجاه واحد هو سير الاتباع والامساك والتسريح والقول الحسن والتراضي والاشهاد ، والامتاع والميثاق كل ذلك بالمعروف ، ولا شيء سوى المعروف الذي كان في الاتباع والتسريح واجب وحكم وفي القول دعاء وفي التراضي والامتاع والتسريح مما تعارف عليه القوم وساروا عليه فأصبح عرفا قائما ، وفي الامساك ميثاق غليظ.

والامتثال لأمر الله ونهيه دليل قوة المؤمن ، ودليل استطاعته، ودليل امتلاكه الأسرار الربانية والكشوفات النورانية من فتح البصيرة والعلم وغيرها.

ولم يأت الأمر منفصلا عن النهي بل جاء في سياق واحد متماسك أشد التماسك ، مما يوحي قوة الخطاب الرباني ، من جهة، ومن جهة أخرى تكامل الدعوة الموجهة للمؤمن العارف الذي عليه أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، فيسير في هذين الخطين المتخالفين ، تحفظه معية الله عز وجل ، وتربيته الإسلامية التي جبل عليها والتي لقنته دروس التسامح والتعاطف والتآزر والتروي، والصمت في مواطن، والحديث في مواطن أخرى ، والحمد عند الابتلاء، والشكر عند الفرح ، وستر الآخرين ، والعفو عند الاقتدار، وقول الخير، والسكوت عن الرد بالمثل عند الشتيمة وغيرها، وحب الدنيا والآخرة،... الخ، إلى غير ذلك من الدروس الإسلامية التي ترتقي بالمسلم إلى درجات من العلو لا حد لها.

ميثاق
الرابطة
صحيفة أسبوعية جامعة
العدد 1060
السنة37
الجمعة 27 محرم 1425 هـ
الموافق 19 مارس 2004 م

المدير المسؤول:
الأمين العام بالنيابة
الشيخ ماء العينين
لارباس

مدير النشر:
إدريس كرم

رئيس التحرير:
محمد الخضر الريسوني

التحرير:
محمد القاضي
مصطفى ودادي

الثمن:3 دراهم

الاشتراكات السنوية
داخل المغرب: مائة وخمسون درهما
رقم الإيداع القانوني: 1994/160
الترقيم الدولي:ISSN: 4348

عنوان البريد الالكتروني:
rabitat @iam.net-ma
موقع الانترنيت
www.rabitat. ma

الحساب البنكي:25201015549.01
وكالة بنك الوفاء-حي أكدال -
الرباط

التصفيف والإخراج الفني:
ميثاق الرابطة
العنوان:107- شارع فال ولد عمير.
رقم 7- أكدال - الرباط
الهاتف: 51 03 67 037
الفاكس: 93 45 67 037
السحب:
مطبعة نداكوم - الرباط- المغرب

ترتيب المواد لا يخضع إلا للمقتضيات الصحافية والتقنية

ميثاق الرابطة

العدد: 1060 الجمعة 27 محرم 1425 هـ . الموافق 19 مارس 2004م

ماهي مقاصد المغاربة في اختيار المذهب المالكي؟

ملخص المداخلة العلمية التي شارك بها الدكتور محمد التمسماني عضو المجلس في ندوة (المذهب المالكي والعقيدة الأشعرية) التي نظمتها وزارة الأوقاف بمدينة وجدة في 24 يونيو 2003

الحمد لله الذي فضل من شاء من عباده العلماء، على من شاء منهم بما شاء، من مزيد علم وحكمة، وجعل اختلافهم في فروع الشريعة رحمة عميمة، وتوسعة عظيمة على هذه الأمة، وخص العلماء المجتهدين بعلوم السنة والكتاب، وعمهم بالأجر مرة على الخطأ ومرتين على الصواب، فضلا من الله ونعمة، ووفقهم لنشر علوم الرسالة، وعصمهم من الاجتماع على الضلالة عصمة أي عصمة.

سد الذرائع إلى المحرمات

يجمع المالكية على أن الإمام مالكا رحمه الله أقام مذهبه وبناه على سد الذرائع واتقاء الشبهات فهو أبعد المذاهب عن الشبه (حتى اشتهر المذهب المالكي بأنه مذهب ذرائعي يتميز عن غيره من المذاهب الفقهية بكونه أكثر مرونة وحيوية في التطبيق، مع التحري والأخذ بالأحوط في الأصول والفروع. يقول العلامة العدوي في شرح قول الخرشي في بيان أهمية الفقه وأنه متكفل ببيان الحرام من الحلال: "وقد كان مذهب الإمام مالك أهلا وحقيقا بذلك" قال رحمه الله: "قوله (وحقيقا) مرادف لما قبله أي مستحقا للوصف بذلك، فلا يكون قصده: تميز مذهبه بمزية لم توجد فيما سواه، كما تقول: فلان أهل للتدريس، فلا ينافي أن غيره ممن اتصف بصفته كذلك، ويجوز أن يكون مراده ذلك، لما تقرر من أنه لم تضرب أكباد الإبل لأحد مثل ما ضربت له فكثر علمه في الأقطار، وبث في جميع الأمصار، وهو في الحلال والحرام، فكان بهذا الاعتبار أهلا وحقيقا بذلك، أو لما علم من كون مذهبه سد الذرائع "لذا اهتم شيوخ المذهب بهذا الأصل واعتنوا به أيما عناية، فكان لهم بذلك قصد السبق في التعريف به والكشف عن حقيقته.

المرجح التاسع. وراثته فقه أهل المدينة وطريقتهم في الاستدلال والاستنباط:

انتقلت إلى الإمام وراثة علم المدينة، وحيازة الفقه بدار الهجرة، وحفظ الحديث والآثار وانتقاد الرواة، ومعرفة الرجال، وعلل الأخبار، والقوة في ذلك وحسن الاستبصار. يتبع منهجهم ويسلك طريقتهم في الرأي والنظر، من ذلك:

تقديم العمل الظاهر المتصل وترجيحه على خبر الآحاد عند التعارض:

العمل أصل من أصول فقه أهل المدينة، اعترف بحجيته السلف والخلف، وذلك من حيث إن "قولهم أصح أقوال أهل الأمصار، رواية ورايا.

وتقديم العمل الظاهر المتصل على الأثر عند التعارض، أصل عظيم اهتم به الإمام وأبرزه، وبين مستنده فيه وهو: الوراثة والمعاينة والمشاهدة، وهذا مما امتاز به عن غيره من الأئمة الذين كان مستندهم في التأصيل: التتبع والاستقراء فحسب. ومما قاله رحمه الله: "رأيت محمد بن أبي بكر بن عمرو بن حزم وكان قاضي المدينة. إذا قضى أخوه بالقضية قد جاء فيها الحديث مخالفا للقضاء يعاتبه، ويقول له: ألم يأت في هذه حديث كذا؟ فيقول: بلى، فيقول له أخوه: فما لك لاتقضي به؟فيقول: فأين الناس منه؟ يعني ما أجمع عليه من العمل بالمدينة، ويريد أن العمل بها أقوى من الحديث.

وقال رحمه الله أيضا: "وقد كان رجال من أهل العلم من التابعين يحدثون بالأحاديث، وتبلغهم عن غيرهم فيقولون: مانجهل هذا ولكن مضى العمل على غيره.

ويرجع وجه الترجيح لاعتبارات نص عليها الإمام وتلامذته، وهي: الاعتبار الأول. لأن المدينة مهبط الوحي ومهاجر الرسول صلى الله عليه وسلم ومدفنه (سئل الإمام عن شيء فقال: إن أردت العمل فأقم. يعني بالمدينة. فإن القرآن لم ينزل بالفرات).

الاعتبار الثاني. لأن هذا العمل إنما هو امتداد واستمرار لعمل الصحابة والتابعين، ذكر الحافظ ابن حجر في "توالي التأسيس: "قال أبو نعيم: قال الشافعي: جلست يوما إلى محمد بن الحسن، فأقبل محمد يطعن على أهل المدينة، فقال الشافعي: إن طعنت على البلد فإنها مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومهبط الوحي، وإن طعنت على أهلها فهم: أبو بكر وعمر والمهاجرون والأنصار، فقال: معاذ الله أن أطعن عليهم، وإنما أطعن على حكم من أحكامهم، فذكر الشاهد واليمين.

الاعتبار الثالث. لقوته، بسبب ظهوره وشهرته. يقول ربيعة الرأي شيخ الإمام: "ألف عن ألف أحب إلي من واحد عن واحد ينتزع السنة من أيديكم وقال الإمام مالك رحمه الله: "انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من بعض مغازيه في كذا وكذا ألفا من الصحابة مات منهم بالمدينة نحو من عشرة آلاف، وتفرق باقيهم في البلدان، فأيهما أحق وأحرى أن يتبعوا ويؤخذ بقولهم، ويعمل بعملهم، من مات عندهم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الذين ذكرتهم أو من مات عندهم واحد أواثنان من أصحابه.

المرجح العاشر. اختصاصه بخصال لم يتفق مثلها لأحد من المجتهدين في عصره. اشتهرت المنقولات، واستفاضت الشهادات في وصفه بخصال وصفات، لم يتفق مثلها لأحد من المجتهدين في عصره، من جملتها:

× بشارة النبي به في الحديث

×علو سنده

الحلقة الثالثة

×كثرة شيوخه

×كثرة تلامذته

×وراثته فقه أهل المدينة

×مكثه في المدينة

×طول مدته في التحصيل والتعليم والإفتاء

×كونه أول من ألف فأجاد

×كونه أول من تكلم في غريب الحديث وشرح في موطنه الكثير منه

×جمع من الأصول مالم يجمعه غيره من الأئمة

×فاق غيره في الكلام على النوازل والوقائع والفتاوى

×كان أشهر من تولى الرد على أهل الأهواء في عصره.

كتاب صدر

صدر عن المجلس العلمي بتطوان كتاب لرئيسه الدكتور ادريس خليفة تحت عنوان (الأشعرية عقيدة أهل السنة والجماعة) عن مطبعة الخليج العربي وسنتعرض له لاحقا بحول الله